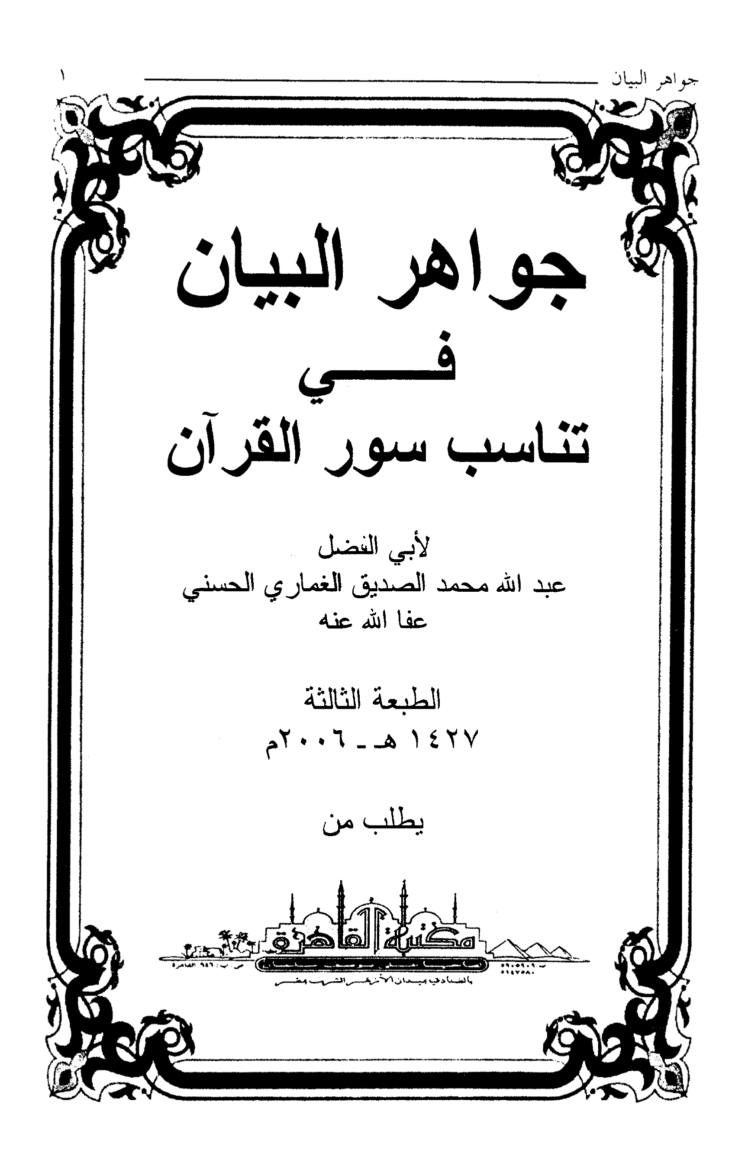


جواهر البيان
فـــي
تناسب سور القرآن

لأبي الفضل
عبد الله محمد الصديق الغماري الحسني
عفا الله عنه

الطبعة الثالثة
١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م

يطلب من



رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٥/٤٣٨٣
الترقيم الدولى B.N.SI.
١٩-٠٠٥-٤٠١-٧٧

لصاحبها: على يوسف سليمان وأولاده
١٢ شارع الصنادقية بالأزهر ت : ٥٩٠٥٩٠٩
١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٥٨٠
ص . ب ٩٤٦ العتبة ـ الأزهر ـ القاهرة
جمهورية مصر العربية

علم التنَاسُب للسوَرْ   علم جليل ذو خطرْ
قد قلَّ فيه الكاتبون   كما قد عزَّ المسُتطَرْ
وابن الزبير في برهانه   قد كان أول من سطَرْ
إذ جاء فيه مجِّلياً   يتلوه بحر قد زخَرْ
أعف السيوطيَّ الذي   كتب التناسقَ للدُّررْ
وكتبتُ مثَلَ كتابهم   بحثا يؤيِّده النظرْ
أعملتُ فيه قريحتي   وتخيرت أنسبَ الفكَرْ
وفتحتُ بعضَ المُغْلقَات   من آي الكتاب ومن سُورْ
وأتيتُ من عين المسا   ئل بالبدائع والغُرْر
ألهمتُ من فيض الْإِلـ   ـهِ بفيض فضل مُدَّخَرْ
حمداً لواهب فضله   ولَه التطوُّلُ إذ سترْ
وصلاتُه دَوْماً على   خَير البرِية من مُضرْ

المؤلف

الشيخ / عبد الله الصديق الغمارى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله الـــذي أنـــزل كتابه هدى ورحمة، وجعله شفاء ونعمة . أودعه علوما وأســـرارا، وضمنه أحكاما وحكما وأخبارا . كتاب يبين طريق السعادة والشقاء، ويرشد إلى حقـــائق، يتوصل إلى كشفها- بعد بحث طويل- كبار العلماء، والصلاة والسلام على ســـيدنا محمـــد الذي اختصه الله بمعجزة القرآن، وفضله على جميع خلقه من ملك وإنس وجان ورضى الله عن آله وأصحابه، وعمن تبع هديه ودخل في زمرة أحبابه .

أمـــا بعـــد فقد أردت - بمشيئة الله تعالى- أن أبين في هذا الكتاب مناسبات سور القـــرآن الكريم بعضها لبعض، حسب ترتيبها في المصحف الشريف . وهذا فن عزيز، قل من تعرض له من العلماء، على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة . مثل تفسيره، وإعـــرابه، وقراءاته، وتجويده، واستنباط أحكامه، وقصصه، وغير ذلك . وسميته "جواهر البيان في تناسب سور القرآن" والله أسأل، وإليه بكتابه العزيز أتوسل: أن يوفقني ويلهمني رشدي، وأن يفرج كربتي، ويذهب عني غمتي، إنه قريب مجيب .

المؤلف

عبد الله الصديق الغمارى

مقدمـــة

تشتمل على مسائل

الأولى :

قـــال الجاحظ: سمى الله تعالى كتابه اسما مخالفا لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصـــيل . سمى جملته قرآنا، كما سموا ديوانا، وبعضه سورة، كقصيدة، وبعضها آية، كالبيت، وآخرها فاصلة، كقافية .

وقال ابن قتيبة: السورة تهمز ولا تُهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت، أي أفضلت، من الســـور، وهو ما بقى من الشراب في الإناء، كأنها قطعة من القرآن . ومن لم يهمزها جعلها من المعـــنى المتقدم، وسهل همزها . ومنهم من يشبهها بسورة البناء، أي القطعة منه . وقيل: من سور المدينة، لأحاطتها بآياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور . ومنه السوار، لأحاطته بالساعد . وقيل سميت سورة لارتفاعها، لأنها كلام الله . والسورة المترلة الرفيعة، قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك حولها يتذبذب .

وملـــك بسكون اللام تخفيفا . وقيل: لتركيب بعضها على بعض، من التصور بمعنى التصـــاعد والتركيب . ومنه ﴿ **إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ** ﴾(ص: ٢١) هذا أصل اشتقاق كلمة السورة من حيث اللغة .

وأما معناها في الاصطلاح: فقال الجعبري: حد السورة: قرآن يشتمل على آي، ذو فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات .

وقـــال غيره: السورة: الطائفة المترجمة توقيفا، أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ .

قال الحافظ السيوطي: وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار . قـــال: وممـــا يـــدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة، قال: (كان المشركون يقولـــون: ســـورة الـــبقرة، وسورة العنكبوت، يستهزئون بـــها) . فترل ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ (الحجر: ٩٥) قلت: هذا مرسل ضعيف .

وقـــد يكون للسورة اسم واحد، وهو الأصل، وقد يكون لها أكثر، مثل (**الفاتحة**) تســـمى فاتحة الكتاب، وفاتحة القرآن، وأم الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، والوافية، والكافية، وقد أوصل السيوطي أسماءها في الإتقان إلى خمسة وعشرين اسما .

(**وسورة البقرة**) ثبت تسميتها سنام القرآن في حديث عند الحاكم . وورد تسميتها فسطاط القرآن في حديث ضعيف وسميت هي وآل عمران بالزهراوين في حديث صحيح.

(**والمائدة**) تسمى العقود .

(**والأنفال**) قال ابن عباس: سورة بدر .

(**والـــتوبة**) تســـمى براءة، والفاضحة، وسورة العذاب، والمقشقشة، والمنقرة، والبحوث، بفتح الـــباء، والمـــثيرة، والمبعثرة، والحافرة، لأنها فضحت المنافقين، وكانت عذابا عليهم، وبرأت من النفاق، ونقرت عما في قلوب المنافقين، وبحثت عن أسرارهم، وأثارتها، وبعثرت عنها، وحفرت عنهم .

(**والنحل**) تسمى سورة النعم .

(**والإسراء**) تسمى سورة سبحان وبني إسرائيل .

(**وطه**) تسمى سورة الكليم .

(**والشعراء**) وقع في تفسير الإمام مالك تسميتها بسورة الجامعة .

(**والنمل**) تسمى سورة سليمان .

(**والسجدة**) تسمى سورة المضاجع .

(**وفاطر**) تسمى سورة الملائكة .

(**ويس**) سميت في حديث يأتي قلب القران .

(**والصافات**) تسمى سورة الذبيح .

(**وص**) تسمى سورة داود .

(**والزمر**) تسمى سورة الغرف .

(**وغافر**) تسمى سورة الطول والمؤمن .

(**وفصلت**) تسمى سورة السجدة وسورة المصابيح .

(**والجاثية**) تسمى سورة الشريعة وسورة الدهر .

(**واقتربت**) سورة القمر .

(والرحمن) سميت في حديث يأتي عروس القرآن .

(والمجادلة) سميت في مصحف أبي بن كعب سورة الظهار .

(والحشر) قال ابن عباس: سورة بني النضير .

(والصف) سورة الحواريين .

(والطلاق) قال ابن مسعود: سورة النساء القصرى .

(والملك) سورة تبارك والمانعة .

(والمعارج) سورة سأل والواقع .

(والنبأ) سورة عم والتساؤل والمعصرات .

(والبينة) سورة القيمة، ولم يكن، والبرية، والانفكاك، وسميت في مصحف أبي بن كعب سورة أهل الكتاب .

(والماعون) سورة أرأيت، والدين .

(والكافرون) سورة العبادة، وتسمى المقشقشة .

(والنصر) سورة التوديع .

(وتبت) سورة المسد .

(والإخلاص) سورة الأساس .

الثانية :

الصحيح عند عامة السلف أن ترتيب السور توفيقي، بمعنى أن النبي ﷺ تلقاه عن جبريل عليه السلام، وتلقاه عنه الصحابة .

قال عبد الله بن وهب: سمعت مالكا يقول: (إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ) .

وقال البغوي في شرح السنة: (الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو انقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ)

وكان رسول الله ﷺ يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب

الذي هو الآن في مصاحفنا، بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية: أن هذه الآية تكتب عقب كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلى السماء الدنيا، ثم كان ينزله مفرقا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .

وقال ابن الحصار: (ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها، إنما كان بالوحي، كان رسول الله ﷺ يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا) . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة الرسول ﷺ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف .

وقال أبو بكر بن الأنباري في كتاب "الرد على من خالف مصحف عثمان": (إن الله تعـــالى أنـــزل القرآن جملة إلى السماء الدنيا، ثم فرقه على النبي ﷺ في بضع وعشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل النبي ﷺ على موضع السورة والآية) . فانتظام السور، كانتظام الآيات والحروف كله عن رسول الله خـــاتم النبيين، عن رب العالمين . فمن أخر سورة مقدمة، أو قدم أخرى مؤخرة، كمن أفســـد نظـــم الآيات، وغير الحروف والكلمات . ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن النبي ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: (ضـــعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن) ، وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات.

وقال الكرماني في البرهان: (ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب) ، وكان ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه . وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إِلَى اللَّه** ﴾(البقرة: ٢٨١)فأمره جبريل أن يضعها بين آيتي الربا والدين .

وقـــال العلامـــة الطيبي: (أنزل الله القرآن أولا جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى الســـماء الدنـــيا، ثم نـــزل مفرقا على حسب المصاحف ثم أثبت في المصالح على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ[1]) .

---

(١) وقـــال ولي الدين الملوي: قد وهم من قال: لا يطلب للآي الكريمة مناسبة، لأنه على حسب الوقائع المفرقة . --

وذهب القاضي الباقلاني في أحد قوليه وابن فارس إلى أن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة، ونسب إلى مالك، ومال ابن عطية في تفسيره إلى أن كان كثيرا من السور كان قد علم ترتيبها في حياته ﷺ، كالسبع الطوال والحواميم والمفصل، وأن ما سوى ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

قال الزركشي في البرهان: والخلاف بين الفريقين لفظي، لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم ذلك، لعلمهم بأسباب نزوله، ومواقع كلماته . ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ . مع قولَه بأن ترتيب السور باجتهاد منهم . فآل الخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي؟ أو بمجرد إسناد فعلي، بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر .

وقال البيهقي في المدخل: كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتبا سوره وآياته على هذا الترتيب، إلا الأنفال وبراءة، لحديث عثمان . ومال إليه السيوطي . وحديث عثمان لا دلالة فيه لمل قاله كما سيأتي بحول الله تعالى .

قال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله ﷺ، لحديث واثلة "أعطيت مكان التوراة السبع لطوال" فهذا الحديث يدل على تأليف القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ، وأنه من ذلك الوقت، وإنما جمع في المصحف على شيء واحد، لأنه جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله ﷺ على تأليف القرآن .

قلت: لفظ حديث واثلة (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل) رواه أحمد والطبراني . وفي إسناده عمران بن داود القطان، وهو إن ضعفه يحي بن معين وأبو داود والنسائي، فقد وثقه عفان ومشاه احمد .

وقال بن عدى: هو ممن يكتب حديثه . واحتج به ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم، فهذا الحديث حسن .

-- وفصل الخطاب: أنها على حسب الوقائع تنزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا، فالمصحف على وفق ما في اللوح المحفوظ: مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين: أسلوبه ونظمه الباهر . والذي ينبغي في كل آية: أن يبحث أول كل شيء، عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة . ثم المستقلة: ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم . وهكذا في السور، يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقت لَه .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[١] . ومما يدل على أن ترتيبها توفيقى ما أخرجه احمد وأبو داود عن أوس بن أبي أوس عن حذيفة الثقفي، قال: كنت في الوفد الذين اسلموا من ثقيف، الحديث . وفيه: فقال لنا رسول الله ﷺ {طرأ على حزب من القران فأردت أن لا اخرج حتى اقضيه} فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ، قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ثلاث سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشر سورة وثلاثة عشرة سور، وحزب المفصل من ق حتى نختم . قال: فهذا الحديث يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن، كان على عهد رسول الله ﷺ . قال: ويحتمل أن الذي كان مرتبا حينئذ حزب المفصل خاصة، بخلاف ما عداه . قلت: هو احتمال بعيد، يبطله حديث واثله، وفي صحيح مسلم حديث {اقرؤوا الزهراوين : البقرة، وآل عمران} .

وفي مصنف بن أبي شيبة من حديث سعيد بن خالد قال: قرأ النبي ﷺ بالسبع الطوال في ركعة . وفي صحيح البخاري عن ابن مسعود انه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء-: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي[٢] .

فذكرها نسقا كما هي في المصحف الآن . قال الحافظ السيوطي: ومما يدل على أن ترتيب السور توقيفي كون والحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين . و لم ترتب المسبحات ولاء، بل فصل بين سورها، وفصل بين طُسم الشعراء وطُسم القصص بطُس، مع أنها اقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديا لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طَس عن القصص .

والخلاصة: أن ترتيب السور توقيفي، كترتيب الآيات .

أما ما رواه احمد وأصحاب السنن، عن ابن عباس، قال: قلت لعثمان: (ما حملكم

---

(١) اسمه: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وهو احسن شروحه من حيث جمع الطرق والروايات، والجمع بين الأحاديث المختلفة، ألتزم ألا يذكر فيه إلا حديثا صحيحا أو حسنا، وان ينبه على الحديث الضعيف إذا ذكره . ولذلك تجد الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة إذا نقل تضعيفا أو توهينا لحديث، يستدرك أحيانا بقولَه، لكن ذكره شيخنا في شرح البخاري .

(٢) بكسر التاء وفتحها، يريد أنه أخذهن قديما بمكة، والتلاد المال القديم الذي نشأ عند شخص، وتولد عنده . ويقال لَه: التالد أيضا، وخلافه الطارف، وهو المال الحادث .

عـــلي أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، والي براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كـــان رسول الله ﷺ تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض مـــن كـــان يكتـــب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانـــت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولا، وكانت قصـــتها شبيه بقصتها، فظنت أنها منها، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن اجـــل ذلك قرنت بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما في السبع الطوال) . صححه ابن حبان والحاكم .

فهذا لا يدل على أن عثمان رتبها باجتهاد منه . وإنما يدل على انه ظنها سورة واحدة . ولهـــذا لم يكتب لبراءة بسملة، وهذا رأى رآه مجاهد وأبو روق سفيان فقالوا: الأنفال وبراءة سور واحدة . والصحيح أن براءة سورة قائمة بنفسها، وهو ما عليه عامة العلماء . ولم تكتب في أولهـــا البســـملة، لان النبي ﷺ لم يأمر بكتابتها، كما في المستدرك للحاكم . والحكمة في ذلـــك ما رواه الحاكم عن ابن عباس، قال: (سألت عليا بن أبي طالب: لِمَ لَم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأنها أمان، وبراءة نزلت بالسيف) [1] .

تنبـــيه: الســـبع الطوال أولها البقرة وآخرها براءة، والمئون هي السور التي تبلغ كل واحـــدة منها مائة آية أو تقاربها، والمثاني ما كانت اقل من المائة، وسميت مثاني، لأنها ثنت المـــئين، آي كانت لها ثوان، والمئون لها أوائل، والأنفال من المثاني، والمفصل ما ولى المثاني من قصار السور، وأوله إلى الآخر .

الثالثة :

المناســـبة علم شريف عزيز، قل اعتناء المفسرين به لدقته، واحتياجه إلى مزيد فكر وتأمل . وهو نوعان:

---

(١) ولأنها كانت عذابا غلى المنافقين، فضحتهم وكشفت أسرارهم في صحيح البخاري عن سعيد بن جبير، قال: قلت لأبـــن عباس: سورة التوبة قال: التوبة؟ بل هي الفاضحة، مازالت تنـــزل: ومنهم، ومنهم . حتى ظننا أن لا يبقى أحد منا إلا ذكر فيها .
وفي مستدرك الحاكم عن حذيفة، قال: التي تسمون سورة التوبة، هي سورة العذاب .

أحدهما: مناسبة الآي بعضها لبعض بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملة واحدة .

قال الإمام الرازي في تفسيره: اكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات و الروابط، وذكر كثيرا من المناسبات في تفسيره المذكور .

وقـــال ابـــن العربي المعافري في سراج المريدين: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكـــون كالكـــلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني . علم عظيم، لم يتعرض لَه إلا عالم واحـــد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد لَه جملة، ورأينا الخلق بأوصاف الـــبطلة . ختمـــنا علـــيه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه . ولعله يقصد الشيخ أبو بكر النيســـابوري، فانه أول من اظهر علم المناسبة- وكان غزيز العلم في الشريعة والأدب- وكان يقول علي الكرسي إذا قرىء عليه: لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هـــذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد، لعدم علمهم بالمناسبة . ولـــبرهان الـــبقاعي تفسير التزم فيه بيان مناسبة الآي والسور . قال في مقدمته: وسميته: "نظم الـــدرر في تناسب الآي والسور" ويناسب أن يسمى: "فتح الرحمن في تناسب آيات القرآن"، وانســـب الأسماء لَه: "ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان" . وذكر في كتابه الذي رد به عـــلى الحـــافظ السخاوي: انه ألفه في مدى أربعة عشر سنة . طبع منه مبحث المسير . بنفقة مستشـــرق ســـويدي اسمه: لندبرج، وكان يسمي نفسه عمر السويدي، وسماه: لعب العرب بالميســـر في الجاهلـــية الأولى . وطبعه في ليدن ضمن مجموعة"طرف عربية"وللحافظ السيوطي كـــتاب في أسرار التزيل . وصفة بأنه جامع لمناسبات السور والآيات، مع ما تضمنه من بيان وجـــوه الإعجـــاز وأساليب البلاغة، سماه: "قطف الأزهار في كشف الأسرار" . والزمخشري يـــتعرض في تفســـير لبيان مناسبة بعض الآي، لكن الإمام الرازي اكثر تعرضا منه لبيان تلك المناسبة . وأرجو أن يوفقني الله إلى تأليف كتاب واسع في هذا الموضوع .

ثانـــيهما: مناســـبة السور بعضها لبعض، وأول من أفرد هذا النوع بالتأليف ـفيما أعـــلم ـ العلامـــة أبو جَعفر بن الزبير الأندلسي، شيخ العلامة أبي حيان، ألف كتابا سماه: "الـــبرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، ثم كتب الحافظ السيوطي كتابه: "تناسق الدرر في تناسب السور"، لخصه من كتابه: قطف الأزهار السالف ذكره .

وكتابي هذا، ثالث كتاب في ذلك العلم الشريف، ألهمنيه الله تعالى وله الحمد والمنة وهو أنواع ثلاثة:

إحدهما: تناسب بين السورتين في موضوعهما، وهو الأصل والأساس .

ثانيهما: تناسب بين فاتحة السورة وما قبلها كالحواميم .

ثالثهما: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، مثل ﴿ **وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ... وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ... فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ... لِإِيلافِ قُرَيْشٍ** ﴾ .

ويوجد نوع رابع من المناسبة، وهو مناسبة فاتحة السورة لخاتمها . افرده السيوطي بالتأليف، كتب فيه جزءاً صغيرا اسماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع" ويدخل في هذا النوع "رد العجز على الصدر" وهو من المحسنات البديعية، وسننبه على شيء من ذلك في محله . من هذا الكتاب، والله الموفق إلى الصواب .

المؤلف

عبد الله الصديق الغمارى

****

١ ـــ الفاتحة

مناسبة ابتداء القرآن بالفاتحة :

اشتملت الفاتحة على معاني عظيمة، ومقاصد سامية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تعالى . ومعنى الحمد لله: الثناء على الله، بإثبات كل كمال له سبحانه . وهذه الجملة تتضمن أمرين: الإقرار بوجود الله، وباستحقاقه لكل كمال .

٢- وصفه بأنه: ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. وهو يفيد الإقرار بأمرين أيضا: أن الله مالك العالمين، وانه يربيهم بما يصلح لكل فرد منهم، ويمد كلا منهم بما ينفعه ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾(الإسراء: ٢٠) .

٣- وصــفه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. ومعــنى الــرحمن المنعم بجلائل النعم . والرحــيم المنعم بدقائقها. وهذا الوصف يفيد أمرين أيضا: أن وصف الرحمة ذاتي لله تعالى كربوبيته، وترغيب العباد في فعل ما يستجلب رحمته بهم .

٤- وصفه بأنه ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، أي الأجزاء . وهذا الوصف يفيد الإقرار بأمرين: بيوم البعث، وبأن لله في ذلك اليوم الملك المطلق ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(غافر: ١٦) .

٥- تخصــيص الله بالعــبادة جميعها من صلاة وصوم وصدقة وحج وغيرها، وهذا مســتفاد من ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي نخصك بالعبادة، ولا نعبد غيرك، ولا نقصد رياء في عبادتك .

٦- تخصيصــه بطلــب الإعانة منه على العبادة وغيرها من سائر الشئون . وهذا مستفاد من ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي لا نطلب الإعانة في جميع أمورنا إلا منك .

٧- الالــتجاء إليه بطلب الهداية إلى ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الذي هو دين الإسلام وهذا يتضمن الإقرار بأمرين . بنبوة النبي ﷺ، وحقيقة ما جاء به مما يشتمل عليه الإســلام مــن عقائد وعبادات ومعاملات، وهو **صراط المنعم عليهم** . وببطلان **صراط**

المغضوب عليهم والضالين، وهم اليهود والنصارى كما ثبت في الحديث الصحيح[1] .

فهـذه المعاني السبعة تعتبر اجمالا لما فصله القران الكريم، فمعظم السور المكية، بل جميعها تفيض في إثبات وجود الله ووحدانيته، واتصافه بالكمالات، وتنزهه عما يصفه به المشركون من نقـائض، واستحقاقه للعبادة، وتفرده بالإعانة وما في معناها . واثبات النبوات، وخاصة منها نبوة النبي ﷺ، واثبات يوم البعث وما يليه، إلى آخر ما هو مفصل فيها بأدلته المتنوعة .

والسـور المدنـية تشتمل على بيان الأحكام من عبادات ومعاملات، ومواريث، وحـدود، وعقوبات وجهاد، وغير ذلك . فلهذه المناسبة القوية الواضحة – اعني اشتمال الفـتحة عـلى مجمل ما فصله القرآن – ابتدئ بها، ومن مقتضيات البلاغة تقدين الشيء مجملا . ثم تفصيله . بعد، ليكون أوقع في النفوس، وأدعى لتمكنه منها .

ومناسـبة أخـرى للابتداء بها، تلك هي براعة الاستهلال، وهي إشعار المتكلم في مفتتح كلامه بما يريد أن يفيض فيه . ولا شك أن من تدبر الفاتحة وتأمل معانيها، أشعرته بالمعـاني الـتي فصلتها السور بعدها . ومن المناسبات للابتداء بها: أن الله ارشد عباده إلى ابتداء مهام أمورهم بحمده تعالى، والثناء عليه سبحانه .

ومـن هـنا قال العلماء: ينبغي افتتاح الأمور المهمة بالحمد، تأسيا بصنيع القرآن العظـيم . وذلـك مـثل خطبة الجمعة، والعيدين . وخطبة النكاح، والمؤلفات العلمية . ورغـب الحديث في ذلك أيضا . ففي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة {كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله أقطع} أو كما قال ﷺ .

تنبيه: روى ابن حبان والحاكم في صحيحيهما عن انس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال {ألا أخـبرك بأفضل القرآن الحمد لله رب العالمين} وفي المسند من حديث عبد الله بن جابر البياض ﷺ مرفوعا {ألا أخبرك بأخير سورة في القرآن؟ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ﴾} .

وفي صـحيح الـبخاري عن أبي سعيد بن المعلي، قال: كنت أصلي في المسجد،

---

(١) هـو حديـث عدى بن حاتم، قال: قال النبي ﷺ "أن المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين هم النصارى" رواه احمد والترمذي وحسنه . وصححه ابن حبان . وذلك أن اليهود جحدوا الحق وهم عالمون به، فغضب الله عليهم، والنصارى قلدوهم فضلوا .

فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيته فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال" ألم يقل الله تعالى ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(الأنفال: ٢٤) [١]؟" ثم قـــال: {لأعلمـــنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد} فأخذ بـــيدي، فـــلما أردنـــا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت {لأعلمنك أعظم سورة في القـــرآن} قال { ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته} .

قـــال ابن التين في شرح البخاري: {لأعلمنك سورة هي أعظم سور القرآن} معناه: أن ثوابـــها أعظـــم من غيرها . وقال غيره: إنما كانت أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سميت أم القرآن.

روى البيهقي عن الحسن البصري، قال: إن الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علوم القرآن في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم جميع الكتب المنزلة .

واختلفـــت عبارات العلماء في بيان كيفية اشتمالها على علوم القرآن . نذكر منها عـــبارة العلامة الطيبي، قال رحمة الله تعالى: هي مشتملة على أربعة أنواع من العلوم التي هي مناط الدين:

أحدهـــا: عـــلم الأصـــول، ومعاقده: معرفة الله تعالى وصفاته، وإليها الإشارة بقولَه ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ومعرفة النبوة، وهي المراد بقولَه ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ومعرفة المعاد، وهو الموحى إليه بقولَه ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

وثانيها: علم الفروع، وأسه العبادات . وهو المراد بقولَه ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ .

وثالثها: علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق، وأجمله الوصول إلى الحضرة الصـــمدانية، والالـــتجاء إلى جـــناب الفردانية، والسلوك لطريقه، والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقولَه ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ﴾ .

ورابعهـــا: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة، والقرون الخالية: السعداء منهم

(١) أخذ منه المالكية: أن المسلم تجب عليه إجابة النبي ﷺ إذا دعاه ولو كان في الصلاة ولا تبطل صلاته .

والأشـقياء . ومـا يتصل بها من وعد محسنهم، ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

وقال الغزالي: مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة، وثلاثة متمة:

الأولى: تعـريف المدعـو إليه، كما أشير إليه بصدرها . وتعريف **الصراط المستقيم**، وقد صـرح بـه فيها . وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى، وهو الآخرة، كما أشير إليه **بملك يوم الدين** .

والأخرى: تعريف أحوال المطيعين كما أشير إليه بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾. وحكايـة أقوال الجاحدين وقد أشير إليه ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وتعريف منازل الطرق كما أشير إليه بقوله ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[1]

****

٢ – سورة البقرة

لما ختمت الفاتحة بطلب الهداية إلى ﴿ ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾(الفاتحة: ٦-٧) من المؤمنين، ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(الفاتحة: ٧). ناسـب أن يـبين من هم المنعم عليهم؟ وما طريقهم؟ فقيل في أول هذه السورة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(البقرة: ٢-٥) بينـت الآية المنعم عليهم، وهم المتقون . كما بينت طريقهم، وهو الإيمان والعمل الصالح، وهذا هو مسمى الدين الإسلامي .

---

(١) أمـا حديث {فاتحة الكتاب تعدل بثلثي القرآن} رواه عبد بن حميد من حديث ابن عباس، فهو حديث ضعيف . ووجـه، مـع ذلك بأن أنواع الدلالات ثلاثة: مطابقة وتضمن والالتزام . وهذه السورة دلت على جميع مقاصد القـرآن بالتضـمن والتزام . والاثنان من الثلاثة ثلثان . ذكره ناصر الدين ابن الميلق الشاذلي المالكي . وبدر الدين الزركشـي . زاد الأول: وأيضـا الحقوق ثلاثة: حق الله على العباد، وحق العباد على الله-يعني تفضلا منه-وحق بعـض العباد على بعض وقد اشتملت الفاتحة صريحا على الحقين الأولين، فناسب كونها بصريحها ثلثين، وحديث {قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين} شاهد لذلك

تنبيهان :

الأول: لو وضعت الفاتحة بجانب أي سورة، لناسبتها بوجه من الوجوه، إذ ما من سورة إلا فيها تفصيل لبعض ما أجملته معانيها . وهذا من خصائص الفاتحة، ومن ثم سميت أم القرآن وأم الكتاب، وأفرد تفسيرها بمؤلفات خاصة، تكشف عن بعض أسرارها، وحكمها وأحكامها . ومن أجمع تلك المؤلفات، تفسير الفاتحة لجدنا الإمام العلامة العارف الكبير أبي العباس احمد بن عجيبة الحسني، وهو في مجلد . وقد كان سيدنا الإمام الأستاذ الوالد ﷺ افتتح قراءة التفسير بالزاوية الصديقية، فمكث يفسر الفاتحة شهرا كاملا، أتى فيه بالمدهش المطرب، وكان بحرا لا تنزفه الدلاء .

الثاني: افتتحت سورة البقرة، بمدح المتقين الذين آمنوا بما أنزل على النبي ﷺ وما أنزل من قبله من الرسل، ثم بذم الكفار، واختتمت بمدح المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وطلبهم من الله – في ختام دعائهم له – أن ينصرهم على القوم الكافرين، فتناسب مطلعها ومقدمها .

تناسب السور الأربع الطوال :

اعلم وفقك الله تعالى أن سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، تتناسب في أمرين: نزولها بالمدينة، واشتمالها على أحكام تشريعية :

ففي البقرة : بيان القبلة، واتمام الحج والعمرة، والاحصار، والخلع، وعدة المطلقات والمتوفى أزواجهن، والدين، والرهن، وغير ذلك .

وفي آل عمران : إيجاب الحج، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، وبيان فضل الشهداء، وغير ذلك .

وفي النساء : إيجاب الصداق وإباحة الزواج بأربع نسوة، وبيان المحرمات في النكاح والمواريث، والوصاية على أموال اليتامى وأحكام القتل الخطأ وغير ذلك .

وفي المائدة : إيجاب الوضوء، وبيان ما يحرم أكله، وطعام أهل الكتاب، وحرمة صيد البر على المحرم، وإباحة صيد البحر مطلقا، وغير ذلك .

وقال بعض الأئمة في بيان تناسبها:

سورة الفاتحة : تضمنت الإقرار بالربوبية، والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة : تضمنت قواعد الدين .

وآل عمـــران : مكملـــة لمقصودها: فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم. وآل عمـــران بمنزلـــة الجواب عن شبهات الخصوم . ولهذا ورد فيها ذكر المشابهة، لما تمسك به النصـــارى، و أوجب الحج في آل عمران . وأما في البقرة فذكر انه مشروع، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه . وكان خطاب النصارى في آل عمران اكثر . كما أن خطاب اليهود في البقرة اكثر . لان التوراة اصل والإنجيل فرع لها . والنبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجـــاهدهم . وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر . كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب . ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جمـــيع الـــناس . والسور المدنية فيها خطاب من اقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا : بيا **أهل الكتاب . يا بني إسرائيل . يا أيها الذين آمنوا** .

وأمـــا ســـورة النساء : فتضمنت أحكام الأسباب التي بين الناس . وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدورة لهم . كالنسب والصهر . ولهذا افتتحت بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ثم قال: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾(النساء: ١) فانظـــر هـــذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاســـتهلال، حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما اكثر السورة في أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالأرحام . فان ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثم خلق زوجته منه، ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء في غاية الكثرة .

وأما المائدة : فسورة العقود، تضمنت بيان تمام الشرائع، ومكملات الدين، والوفاء بعهـــود الرسل، وما أخذ على الأمة، وبها تم الدين، فهي سورة التكميل، لان فيها تحريم الصـــيد على المحرم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين، من السراق والمحاربين، الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال،

وإحـــلال الطيـــبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى . ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ، كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذي دين . ولهذا اكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام . وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه، ولا يزال هذا الدين كاملا . ولهذا ورد أنها آخر ما نزل، لما فيها من إشارات الختم والتمام . وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات من احسن الترتيب .

****

٣ – سورة آل عمران

ختمت سورة البقرة بآية ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾(البقرة: ٢٨٥) فافتتحت هذه السورة ببيان بعض صفات الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝ ﴾(آل عمران: ٢) لتأكيد انه آهل لان يتوجه إليه بتلك الطلبات . في الآية السابقة ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴾ (البقرة: ٢٨٦) إلى ختام السورة . ثم بيان الكتب التي آمن بها الرسل والمؤمنون ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾(آل عمران: ٢-٣) وهذه أمهات الكتب السماوية، ثم عم بقيتها ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ كالزبور والصحف . ثم اتبع ذلك ببيان أن المؤمنون آمنوا بالكتاب كله، لم يفرقوا بين محكمه ومتشابـــهه، كما لم يفرقوا بين أحد من رسله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝ ﴾(آل عمران: ٧) ثم مناسبة قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾(آل عمران: ٤) القرآن وبقية الكتب ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ ﴾(آل عمران: ٤) ظاهرة، وهي أن الله ينتقم من الكفار بنصر المؤمنين عليهم، استجابة لدعائهم السابق ﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(البقرة: ٢٨٥) .

<u>تنبيه</u>: افتتحت هذه السورة بأمرين: دعاء المؤمنين ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾(آل عمران:٨-٩) . وتـــهوين شأن الكفار، وبيان مصيرهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾(آل عمران: ١٠-١٢) واختتمت بمثل ذلك ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾(آل عمران: ١٩٣-١٩٤) ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ ﴾(آل عمران: ١٩٦-١٩٧) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

****

٤ – سورة النساء

ختمـــت السورة السابقة بالأمر بالتقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾(آل عمران: ٢٠٠) وهو خطاب للمؤمنين فناسب أن يوجـــه الخطاب في مفتتح هذه السورة لجميع الناس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾ وزيد هنا وصف ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ ﴾(النساء: ١) ليتناسب مع قولِه في أواخر السورة السابقة ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾(آل عمران: ١٩٥) فكأنه يقـــول: أثبتكم على أعمالكم الصالحة جميعا ذكورا وإناثا، لأنكم جميعا مأمورون بالتقوى، وترجعون في أصل نشأتكم إلى أدم وحواء .

****

٥ – سورة المائدة

قـال الصـاوي في حاشية تفسير الجلالين: وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها: أنه حيث وعدنا الله بالبيان، كراهة وقوع الضلال منا، تم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكام لم تكـن في غيرهـا . قال البغوي عن ميسرة قال: إن الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حكمـا لم تـنزل في غيرها من سور القرآن وهي: المخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السـبع إلا مـا ذكيتم، وما ذبح على النصب، وأن تستقسموا بالأزلام وما علمتم من الجوارح مكلـبين، وطعـام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، وبيان تمام الطهـر في قوله تعالى ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾(المائدة: ٦) ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾(المائدة: ٣٨) ﴿ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾(المـائدة: ٩٥) وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، وقوله ﴿ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾(المائدة: ١٠٦) .

قلت: من تدبر هذه السورة وجد فيها أحكاما أخرى لم تذكر في غيرها.

وقـال الكواش في تفسيره: لما ختم سورة النساء أمر بالتوحيد والعدل بين العباد، أكد ذلك بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾(المائدة: ١) .

****

٦–سورة الأنعام

ختمت السورة السابقة بقوله تعالى ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾(المائدة: ١٢٠) فناسب أن يبين سبب تلك الملكية ومنشأها، فافتتح هنا بجملة ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾(الأنعام: ١) فسـبب ملكـية الله للسموات والأرض: أنه خالقهما وما فيهما، وتلك ملكية حقيقية، لا كملكـية الـناس لما يملكونه بشراء أو هبة أو توريث، فالها ملكية مجازية، والحقيقة فيها لله تعـالى . وفي قولـه ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ إشـارة إلى أن ما يؤهله بعض الكفار، كالثانوية وعبدة الكواكب، ما هو إلا بعض من مقدوراته التي شملها قوله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾(المـائدة: ١٢٠) ومن ثم كان المشركون بجميع فرقهم في غاية البعد والانحطاط

العقلي، حيث سووا بالله في الربوبية والعبادة بعض مملوكاته المخلوقة له، والتي هي أثر من آثار قدرته العامة الشاملة . فأشار إليهم بثم المفيدة للبعد والتحقير في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾(الأنعام: ١) وعبارة: الذين كفروا . تشمل أهل الكتاب الذين أَلهوا عيسى أو عزيرا، وعبدوهما مع الله تعالى .

وقال بعض العلماء: افتتاح سورة الأنعام بالحمد، مناسب لختم المائدة من فصل القضاء، كما قال تعالى ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الزمر: ٧٥) .

قلت: لأن المراجعة المذكورة في آخر المائدة بين الله تعالى، وبين عيسى عليه السلام، إنما تكون يوم القيامة .

ومناسبة أخرى بين السورتين: فان سورة المائدة اشتملت على أحكام لم تذكر في غيرها، وكذلك سورة الأنعام .

فاشتملت آية ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾(الأنعام: ٨٣) على ثمانية عشر رسولا لم تجمعهم سورة أخرى، وفيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾(الأنعام: ١١٨) ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾(الأنعام: ١٤١) . وهو غير الزكاة، بل المراد إعطاء ما سقط من الزرع والثمار ساعة الحصاد، لمن حضر من الفقراء، ولهذا قيل ﴿ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ .

****

٧ – سورة الأعراف

نوه الله تعالى عن القرآن في أواخر السورة السابقة، بقوله تعالى ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(الأنعام: ١٥٥) . إلى أن توعد المكذبين به، والمعرضين عنه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴾(الأنعام: ١٥٧) . فافتتح هذه السورة بنهي نبيه أن يكون في صدره ضيق منه، بسبب تكذيب قومه به وصدوهم عنه ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ بل استمر في تبليغه ﴿ لِتُنذِرَ

بِهِۦ ﴾ المكذبين الصادفين أي المعرضين ﴿ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الأعراف: ١) به . قل لهم جميعا ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(الأعراف: ٣) وهذا كقوله في الآية السابقة ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾(الأنعام: ١٥٥) فالمناسبة ظاهرة والحمد لله .

تنبيهان:

أحدهما: جملة ﴿ أَنزَلْنَٰه ﴾ صفة كتاب، و ﴿ مُبَارَك ﴾ صفة ثانية . وصنيع الآية يرد على من زعم من النحويين . أنه إذا اجتمع في الكلام صفتان لموصوف، إحداهما جملة، والأخرى مفرد، وجب تقديم المفرد على الجملة .

ثانيهما: ابتدئت هذه السورة بالأمر إلى اتباع القرآن، وختمت بالأمر إلى بالاستماع إليه ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤) فتناسب المطلع والمقطع .

****

٨ – سورة الأنفال

مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ختم السورة السابقة بالأمر بذكره في جميع الحالات ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾(الأعراف: ١٠٥) . فذكر في مفتتح هذه السورة، ما يحثه ذكر الله عند المؤمنين من الآثار الحميدة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾(الأنفال: ٢) وفي هذه الآية إشارة إلى مناسبة أخرى، وهي ما يحثه سماع القرآن المأمور به في الآية السابقة ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾(الأعراف: ٢٠٤) فهاتان مناسبتان واضحتان، والحمد لله .

****

٩-سورة التوبة

مناسبتها للأنفال أن موضوعها الحض على قتال الكفار، وترك مهادنتهم، وحكم المغانم، وما إلى ذلك . وقد تقدم عن عثمان ﷺ أنه ظن التوبة مع الأنفال سورة واحدة، لأن قصتها تشبه قصتها . ناهيك بمناسبة حملت على الاعتقاد باتحاد السورتين، والله تعالى أعلم .

****

١٠-سورة يونس عليه السلام

مناسبتها لما قبلها من وجهين:

أحدهما: أن الله امتن على المؤمنين ـ في آخر التوبة ـ بمجيء رسول إليهم من أنفسهم، عزيز عليهم عنتهم، حريص عليهم، أي على هدايتهم، رءوف رحيم بهم، فذكر في مفتتح هذه السورة عجب الكفار من أن يوحي الله إلى رسوله لينذر ويبشر ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾(يونس: ٢) والاستفهام إنكاري، لإنكار تعجبهم من إرسال رسول منهم، أي لا يليق ولا ينبغي أن يتعجبوا من إرسال البشر، لان البشر أهل لتحمل الرسالة خصوصا محمد ﷺ في كامل صفاته ونعوته .

ثانيهما: انه قال – في ختام السورة السابقة– ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾ أي الناس جميعا عن الإيمان ﴿ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(التوبة: ١٢٩) فبين هنا الأوصاف التي أوجبت التوكل عليه، والالتجاء إليه ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(يونس: ٣) فلأجل انه خالق السماوات والأرض ومدبر الأمر فيهما، ومربي الخلق بما يصلح شئونهم، وجب إفراده بالعبادة، ومن أعلى مقاماتها التوكل عليه، والاكتفاء به عن سائر مخلوقاته ﷻ .

تنبيهان:

الأول: جرى بعض المفسرين على تفسير العرش في الآيتين السابقتين ونحوهما،

بانكرسي، وهو غلط، والصواب: أن العرش غير الكرسي، كما تقتضيه الادلة، ولا يوجد دليل، ولا شبه دليل، يقتضي انهما شيء واحد .

الثاني: قولَه تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(الأعراف: ٥٤) اتفق العلماء على إن الاستواء المعهود-وهو ذلك الجلوس-غير مراد هنا . لقيام الأدلة العقلية والنقلية على تنزه الله عـــنه، لأنه من صفات المحدثات . ثم اختلفوا بعد ذلك، فذهب السلف إلى التفويض . فقـــالوا: استوى استواء يليق به، ونكل تعيين المعنى إليه ﷻ: وذهب الخلف إلى التأويل، فقالوا: معنى استوى: استولى . واستدلوا بقول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

ورد هذا التأويل بوجهين:

إحدهمـــا: إن الله تعـــالى مســـئول على الكون كله ومن فيه وما فيه، فما السر في تخصيص العرش؟ .

ثانـــيهما: إن الاستيلاء يكون بعد قهر وغلبة، والله تعالى منزه عن ذلك . سئل ابن الأعـــرابي عن معنى استوى؟ فقال: هو على عرشه كما اخبر . فقيل: يا أبا عبد الله معناه اســـتولى؟ قال: اسكت، لا يقال: استولى على الشيء، إلا إذا كان لَه مضاد . فإذا غلب أحدهما، قيل: استولى . رواه اللالكائي في السنة .

والصـــواب عندي في التأويل- إن ذهبنا إليه- أن يقال: جملة ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾(الأعراف: ٥٤) أريد بها انتظام الملك، وتمام خلق السموات والأرض وما فيهما على وفق ما سبق في العلم الإلهي القديم، فهي من با ب الاستعارة التمثيلية المعروفة في علم البيان

ومـــا يؤيـــد هذا التأويل: أن الاستواء تكرر في القرآن ست مرات فذكر في سورة طه والفرقان والسجدة والحديد، كما ذكر هنا، عقب خلق السموات والأرض . وذكر في سورة الـــرعد عقـــب رفع السموات وهو مظهر من مظاهر انتظام وضعها بالنسبة لوضع الأرض . وذلك من تمام انتظام الملك الذي عبر عنه بالاستواء على سبيل الاستعارة كما مر .

****

١١- سورة هود عليه السلام

مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ختم السورة السابقة بأمر الناس جميعا باتباع القرآن ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ القرآن ﴿ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾(يونس: ١٠٨) وهذه الصيغة تفيد وجوب الهداية بالقرآن واتباعه، بطريق الكناية، لأنه إذا كان نفع هداية الإنسان عائدا لنفسه، وضرر ضلاله يعود عليها، فيجب عليه اتباع طريق الهداية، وترك طريق الضلال، ثم أمر نبيه باتباع القرآن، والصبر على الكفار الذين لم يؤمنوا به، حتى يحكم الله ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾(يونس: ١٠٩) . فذكر في مفتتح هذه السورة بيان حقيقة القرآن ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾ بينت بالأحكام والقيم والمواعظ ﴿ مِن لَّدُنْ ﴾من عند ﴿ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(هود: ١) ثم عاد إلى الاستدلال على حقيته، ليتأكد وجوب اتباعه، والاهتداء به، فتحدى العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، إن كان مفترى كما يزعمون ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(يونس: ٣٨) وهذه مناسبة ظاهرة، والحمد لله .

****

١٢-سورة يوسف عليه السلام

قال الصاوي: مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء، فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، وهذه من محاسن قصص الأنبياء . وأيضا ليتسلى النبي ﷺ بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، عما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد .

قلت: ولهذا قال في ختام السورة السابقة ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾(هود: ١٢٠) وقال هنا ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾(يوسف: ٣) . ويصح اعتبار هذا-أعني مناسبة افتتاح هذه السورة لخاتمة تلك مناسبة أخرى- تضم لما سبق،

مناسبة أخرى: وهي أن هذه السور الست: (**سورة يونس، وسورة هود، وسورة**

يوسـف، وسـورة الرعد، وسورة إبراهيم، وسورة الحجر) . كل سورة منها بدئت بحـرف (**ألر**) يليه الحديث عن القرآن[١] ، إلا سورة الرعد فبدئت بحرف (**ألمر**) ، وكلها مكية، إلا الرعد ففيها خلاف، قال ابن عباس: مكية، وقال غيره: مدنية .

تنبيهات

الأول: سـئلت بقرية "أويش الحجر" بجهة المنصورة: لم ذكر الله قصة يوسف كلها في سـورة واحـدة؟ و لم يوجز فيها؟ ولا كررها كما فعل في غيرها من القصص؟ فأعملت فكـري، حتى فتح الله علي بجواب لم أجده في كتب التفسير التي وقفت عليها، وقد ذكرته في كتابي "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن"[٢] وتلخيصه: أن الله تعالى أورد هذه القصة مرة واحـدة . و لم يوجـزها ولا كررها لنكتتين: ترجع إحداهما لعلم الأصول، والثانية إلى علم البلاغة .

أمـا الأولى: فـإن هذه القصة، نزلت بسبب سؤال وقع ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾(يوسـف: ٧) . وذلك يقتضي أن تذكر كلها في هذا الموضع، ولو أخر شيء منها إلى سورة أخرى، كان الجواب غير واف بالسؤال، وذلك غير جائز، لأن المقرر في علم الأصول: أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

وأما الثانية: فإن القصة ذكرت مجملة في قول يوسف لأبيه ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾(يوسف: ٤) وما حصل بعد ذلك بينه وبين إخوته، يعد تفصيلا لهذه الرؤيا، وتمهيدا لتفسيرها . إلا ترى إلى يوسف حين تلاقى بأبويه وإخوته، وخروا له سجدا، قال ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾(يوسف: ١٠٠) يشير إلى ما ذكرنا . ولا شك أن السامع للرؤيا تطلعت نفسـه إلى تأويـلها، ومعرفة ما المراد بالكواكب؟ وما المراد بالشمس والقمر؟ وما معنى

---

(١) وكل سورة فتحت بحرف الهجاء، تلاه الحديث عن القرآن . نحو (ألم . ذلك الكتاب لا ريب . ألم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق . المص . كتاب أنزل إليك . كهعيص . ذكر رحمة ربك) أي هذا الموحى إليك ذكـر رحمة ربك . وهكذا كل سورة بدئت بحرف الهجاء، إلا سورة العنكبوت والروم والقلم، و لم يذكر في فاتحتها شيء عن القرآن، لحكمة نبينها فيما يأتي بحول الله .

(٢) طبع مكتبة القاهرة وكل كتبنا .

سجودهم، فكان من مقتضيات البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال: تفصيل القصة بعد هذا الإجمال، وتفسير الرؤيا بعد هذا الإبهام، لتهدأ نفس السامع، ويطمئن قلبه . وأما عدم تكرارها، فهو مبني على ما سبق . لأنها إما أن تتكرر بالأسلوب نفسه، وهو تكرار لا داعي إليه، وإما بأقل منه، وهو إخلال بالمقصود . وإما بأزيد منه، وهو إطناب لا حاجة إليه .

لمحة إشارية :

لما امتنع يوسف عن فعل الفاحشة . وقاوم في نفسه شهوة الإنسان[1] كما خالف دعوة النساء يؤيدهن الشيطان . مخالفة الوقوع في معصية الملك الديان . أفردت قصته في بسورة في القرآن . يتردد أسمه فيها على تطاول الزمان، تنويها بشأن العفة والطهر، والبعد عن الخنا والعصيان، وتنبيها على أن بلايا الأبدان . لا تبلغ في كفة الميزان، ثواب الصبر عن الوقوع فيما يغضب الرحمن . أيوب عليه السلام ابتلى في جسمه وأهله وماله، فأثنى الله عليه بقولَه ﴿ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(ص: ٤٤) لكن يوسف عليه السلام أثنى الله عليه بقولَه ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(يوسف: ٢٤) فنظمه في سلك الكليم، حيث قال عنه ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾(مريم: ٥١) وشتان بين المخلص والأواب . فتدبر آيات الكتاب . تفهم سر الخطاب، ويرفع عنك الحجاب . أرشدنا الله وإياك إلى الصواب .

الثاني: قال الكرماني في كتاب العجائب: في قولَه تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾(يوسف: ٣) قيل: هو قصة يوسف، وسماها احسن القصص، لاشتمالها على ذكر حاسد و محسود، ومالك ومملوك، وعاشق ومعشوق، وشاهد ومشهود، وحبس وإطلاق، وسجن وخلاص، وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق .

الثالث: افتتحت هذه السورة بقولَه تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾(يوسف: ١) واختتمت

(١) لأنه قد هم بإتيانها، لكنه قاوم همه و لم يعزم، فاستحق المدح والثناء، راجع ما كتبناه في "بدع التفاسير" . طبع مكتبة القاهرة .

بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾(يوسف: ١١١) فتناسب مطلعها ومقطعها . وبالله التوفيق .

****

١٣- سورة الرعد

مناسبتها لما قبلها من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى في السورة السابقة ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾(يوسف: ١٠٥) فبين هنا بعض تلك الآيات ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾(الرعد: ٢) إلى قوله ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(الرعد: ٤) .

ثانيهما: نفى في السورة السابقة الافتراء ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (يوسف: ١١١) وأثبت هنا حقيته أي أنه حق منزل من الله ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(الرعد: ١) سماه هناك: هدى ورحمة، وسماه هنا: الحق .

****

١٤-سورة إبراهيم عليه السلام

مناسبتها لما قبلها من وجوه:

أحدها: قال تعالى في السورة السابقة ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ ﴾ القرآن ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ (الرعد: ٣٧) وقال هنا مبينا حكمة ذلك ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾(إبراهيم: ٤) فالقرآن نزل عربيا، لأن النبي ﷺ عربي، ولسان قوم عربي .

ثانيها: قال تعالى - هناك يرد على الكفار الذين عابوا النبي ﷺ بكثرة النساء - ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾(الرعد: ٣٨) فذكر هنا دعاء

إبراهيم لذريته ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ (إبراهيم: ٣٧) . وذكر قول إبراهيم أيضا ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ ﴾(إبراهيم: ٣٩) يشير إلى إبراهيم الذي يعتقده الكتابيون، كان له أكثر من زوجة، وصرح بذكر ولديه، ليذكرهم – إن نسوا أو تناسوا – أنهما كانا من زوجتين . فكأنه يقول لهم: إن عبتم على محمد تعدد الزوجات، فقد كان لجده إبراهيم أكثر من زوجة، ورزق ببكره أفضل ولديه من زوجته الثانية . فلم تعيبون الطاهر المعصوم وأنتم المعيبون؟

لمحة إشارية :

ترك إبراهيم عليه السلام فلذة كبده، وأعز ولده إسماعيل مع أمه هاجر، في مكان قفر، لا زرع فيه ولا ضرع، ولا نبات ولا ماء، أرض جرداء، تعلوها قبة زرقاء . لكنه توجه إلى الله بصدق في الدعاء، وأخلص في الالتجاء، وبسط له كف الرجاء، فسمع الله دعاءه، وقبل رجاءه . كيف لا؟ وهو خليله الذي رد الأمور كلها إليه حين يقول ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾(الشعراء: ٧٧-٨١) . فأنبع لأهله زمزم عينا معينا. وجعل قلوب الناس تهفو إلى ذلك المكان لأنه بيته الحرام، وسخر لإسماعيل الخيل، وكانت قبل ذلك وحشية لا تستأنس، ومن ثم كني أبا السباع، وجعل الله ركوبها عزة وقوة لذريته العرب، ثم إكراما لها- وقد تأنست بعد توحش، وكان في نواصيها الخير-، حرم الله على المحرم الصيد البر ما دام محرما . فيا أيها المريد . كن على قدم الخليل: توجه إلى الله بصدق . والجأ إليه بإخلاص، وفوض الأمور كلها إليه . يخرق تلك العادات، ويسخر لك الكائنات. ويريك ما تحسب في نفسك وأهلك وولدك. ويجعل مع البركة بركات .

ثالثهما: قال تعالى- يرد على الكفار الذين طلبوا الآيات عنادا ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾(غافر: ٧٨) فذكر هنا أن كل رسول قال ذلك لقومه، وليس خاصا بنبينا ﷺ ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ ﴾ آية تقوم بها الحجة ﴿ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾(إبراهيم: ١١) .

تنبيهان :

الأول: قولــه تعالى السابقة ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾(الرعد: ٣٧) وقوله سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾(ابراهيم: ٤) لا ينافيان الآيات الدالة عـــلى إرسال النبي ﷺ إلى العالمين . لان القران إنما نزل بلغة العرب، ليكون حجة عليهم، لعجزهم عن معارضته، والإتيان بشيء مما فيه من أنواع العلوم والحقائق والأحكام والنظم وغيرها، ثم العرب الذين اسلموا، وغيرهم من المسلمين الذين فهموا القران .

مأمورون على سبيل الوجوب، بنقل الدعوة وتبليغها إلى سائر الأمم وذلك بترجمة تفسير القران والأحاديث إلى اللغات الأجنبية المختلفة . وتعلم اللغات - لهذا أو لغيره من المقاصـــد- فرض كفاية، تأثم الأمة بتركه، كما أثمت بترك تبليغ الدعوة الإسلامية، والنبي ﷺ يقول : { **بلغوا عني ولو آية** } ويقول: { **ليبلغ الشاهد منكم الغائب** } فالواجب على العلماء بصفة خاصة أن يتعلموا اللغات الأجنبية، لينقلوا بها تعاليم الدين وأحكامه إلى المســـلمين غـــير العرب . وليبشروا بالدين الإسلامي في البلاد الأوروبية والأفريقية وسائر بلاد العالم .

الثاني: بدئت هذه السورة بقوله تعالى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(ابراهيم: ١) وختمت بقوله تعالى ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(ابراهيم: ٥٢) وهذا نوع من المحسنات البديعية يسمى "رد العجز على الصدر"وهو أيضا من تناسب مطلع السورة ومقطعها .

****

١٥- سورة الحجر

مناسبتها لما قبلها: إن الله ذكر مكر الكفار بالنبي ﷺ، حين أرادوا نفيه أو حبسه أو قـــتله ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ ﴾ أى جـــزاؤه ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾(ابراهيم: ٤٦) وتوعدهم بما يحصل لهم يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ

يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾(إبراهيم: ٤٨-٥١) فذكر هنا إن الكفار يتمنون يوم القيامة لو كانوا مسلمين في حياتهم ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾(الحجر: ٢) وذلك حين يذوقون العذاب الذي اوعدوا به في الآيات السابقة . والله تعالى اعلم .

مناسبة أخرى: ختمت السورة السابقة بالحديث عن القران ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(إبراهيم: ٥٢) وفتحت هذه بالحديث عنه أيضا ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾(الحجر: ١) وتحدث عن زعم الكفار جنون الآتي به ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ ﴾(الحجر: ٦-٧) ورد الله عليهم بأنه الذي نزل الذكر وانه يتولى حفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(الحجر: ٩) .

مناسبة أخرى: ذكرت السورة السابقة قصة ذهاب إبراهيم بابنه مع أمه، إلى الحجاز، وتركهما هناك، وسبب ذلك ما صح- أبعاد هاجر وولدها، عن سارة التي غارت منها غيرة شديدة، حيث لم ترزق بولد مثلها . فذكرت هذه السورة قصة بشارة إبراهيم بولد من زوجته الغيرى . ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾(الحجر: ٥١-٥٣) وقد جاءت البشارة متأخرة، فانهم حين بشروه بإسحاق كان قد جاوز المائة بعشر أو اكثر، فاستبعد أن يرزق بولد في هذا السن ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(الحجر: ٥٤-٥٦) وهذه مناسبة واضحة . والدليل على أن المبشر به هنا اسحق عليه السلام، التصريح به في قصة الضيف في سورة هود ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾(هود: ٦٩) مشوي ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ أي لم يأكلوا منه، لأنهم ملائكة ﴿ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ ﴾وصرح إليهم بوجلة كما هنا ﴿ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ ﴾(هود: ٧٠-٧١) تساعده في خدمة الضيف، إذ ليس لها خادم ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾

فرحا بإرسال رسل لإنقاذ لوط عليه السلام، وهو ابن أخي زوجها إبراهيم عليه السلام ﴿ فَبَشَّرْنَـٰهَا ﴾ على لسان الرسل ﴿ بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴾(هود: ٧٢) يعني إنها تعيش حتى يتزوج اسحق وترى ولده يعقوب . وهذا أحد الأدلة على أن الذبيح غير اسحق، لان الله بشـــر أمـــه بان يعيش حتى يتزوج ويلد، فكيف يأمر بذبحه قبل ذلك؟!هذا خلف . وقد استبعدت سارة هذه البشارة كما استبعدها زوجها من قبلها ﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝ ﴾(هود: ٧٢-٧٣) وقد ابعد من عد ســـارة أو مـــريم نبيه، لمخاطبة الملائكة إياها، فان نبوة الشخص لا تثبت بمجرد خطاب الملائكة له بسلام او بشارة او نحو ذلك[١] . وإنما تثبت بان يوحي الله إليه بتشريع .

مناسبة أخرى: ذكر الله في السورة السابقة مراجعة الكفار بعصهم البعض، وكلام الشيطان معهم ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ بمغيثكم ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ بمغيثي ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ ﴾(ابراهيم: ٢٢) وهم لم يعبدوه، لكن طاعتهم له فيما زين لهم من الكفر والمعاصي اعتبرت شركا، فذكر هنا إن إغوائهم المشار إليه هناك، عزم عليه الشيطان[٢] منذ خلق آدم عليه السلام، حين امتنع من السجود له ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ

---

(١) وقـــد كانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما ويسمع سلامهم ويرد عليهم . وكان أهل بيته يسمعون سلامهم أيضا، وذلك كل ليلة . فلما اكتوى لأجل البواسير، انقطع السلام، ولما ذهب آثره، عادوا للسلام عليه . والحديث هذا صحيح بل مستفيض وفي بدء الأمالي:

وما كانت نبيا قط أنثى . . . . ولا عبد و شخص ذو فعال

(١) واخـــبرنا هـــذا العـــزم منه لنحذره، بل قال في سورة فاطر (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .

مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾(الحجر: ٢٨-٤٠) .

****

١٦-سورة النحل

ذكر الله تعالى في السورة السابقة بداية خلق آدم أبي البشر ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾(الحجر: ٢٦) . ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾(الحجر: ٢٨) فذكر في هذه السورة ما خلق من النعم له ولأولاده ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾(النحل: ٤) ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾(النحل: ٨) ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ ﴾(النحل: ١٠-١١) إلى قوله ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾(النحل: ١٨) وآيات أخرى في نعم اللبن والعسل والازواج والذرية وغير ذلك . ولهذا قال قتادة: تسمى هذه السورة سورة النعم، أي لكثرة ما عدد الله فيها من النعم على عباده، وهذه مناسبة واحدة .

ومناســبة أخرى: أمر الله تعالى نبيه أن يجهر بالدعوة، وأن يعرض عن المشركين . وتوعدهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة أمرهم ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾(الحجر: ٩٤-٩٦) فأخبر هنا أن يوم القيامة الذين يلاقون فيه جزاءهم آت لا محالــة، ونزه نفسه عن إشراكهم ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ هو يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق وقوعه . والمراد: يأتي ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(النحل: ١) .

مناســبة أخــرى: ختمــت السورة السابقة بقوله ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾(الحجر: ٩٩) وهــو المــوت، سمى يقينا لأنه لا بد من وقوعه . وفتحت هذه

السورة بقوله ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ ﴾(النحل: ١) يوم القيامة، فتناسبت فاتحة هذه وخاتمة تلك، في ذكر أمرين واجبي الوقوع، شاملين للمخلوقات، يكشفان-حين وقوعهما- ما كان غائبا عن المكلف من شئون الآخرة وما فيها .

******

١٧- سورة الإسراء

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى أثنى في ختام السورة السابقة على إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ ﴾(النحل: ١٢٠-١٢٢) فذكر في مفتتح هذه السورة ما أكرم به أفضل الأنبياء من ذريته، وهما محمد وموسى عليهما السلام ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝ وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ (الإسراء: ١-٢) .

مناسبة ثانية: قال الله تعالى في آخر السورة السابقة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾(النحل: ١٢٨) وهي معية عناية وإكرام، فذكر هنا إكرامه لسيد المتقين والمحسنين ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ﴾ الآية والباء في (بِعَبۡدِهِۦ) تفيد المصاحبة والمعية . وثنى بذكر موسى، لأنه حظي بمثل هذه المعية، حين قال الله تعالى له ولأخيه لما أبديا تخوفهما من فرعون ﴿ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(طه: ٤٦) والله تعالى أعلم .

ومناسبة ثالثة: ذكر الله تعالى في السورة السابقة كثيرا من النعم التي أنعم بها على بني آدم، وذكر هنا أجل تلك النعم، وهي نعمة التكريم والتفضيل ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾(الإسراء: ٧٠) وهذه مناسبة واضحة .

تنبيهان :

الأول: افتتحت هذه السورة بالتسبيح، إشارة إلى أن الإسراء من المعجزات العظيمة التي تثير دهشة السامع وإعجابه . فلا يملك إلا أن يسبح الله تعالى تتريها له عما ينسبه إليه الجاهلون . وهذا أحد الأدلة على أن الإسراء كان يقظة بالجسم والروح[١] .

وقال ابن الزملكاني: لما اشتملت هذه السورة على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى . أتى بسبحان، لتتريه الله عما نسب إليه نبيه من الكذب . واختتمت بالتحميد، فتناسب مطلعها ومقطعها، حيث بدئت بتتريه الله عن النقائض، وانتهت بإثبات الكمال له تعالى . وهذا هو الوضع الطبيعي: نفي، ثم إثبات .

الثاني: من تأمل صنيع القرآن الكريم، وجده إذا ذكر الإنسان، اتبعه غالبا بوصف ذم . اقرأ الآيات التالية ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٢] ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(الزخرف: ٧٢) ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾(فصلت: ٤٩) ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾(فصلت: ٥١) ﴿ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴾(الشورى: ٤٨) ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾(الزخرف: ١٥) ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ ﴾ (المعارج: ١٩-٢١) ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾(عبس: ١٧) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾(الانفطار: ٦) ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾(العلق: ٦-٧) ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾(العاديات: ٦) ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ (العصر: ١-٢) .

هذا سوى وصفه بالضعف ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾(النساء: ٢٨) . وبكثرة الجدل

---

(١) إذ لو كان مناما كما يقول بعض المبتدعة، لم يكن للتسبيح معنى . أنظر ما كتبناه في "فضائل النبي في القرآن" (طبع مكتبة القاهرة) .

(٢) وفي سورة الإسراء أيضا قبل آية التكريم بآيتين ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ۝ ﴾(الإسراء: ٦٧) .

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً ﴾(الكهف: ٥٤) وبالعجل ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ (الأنبياء: ٣٧) ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ (الإسراء: ١١) إلى غير ذلك .

وحين أخبر عن تكريمه قال: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾(الإسراء: ٧٠) وذلك يشير إلى أن الله تعالى لم يكرم الإنسان -وتنتْ صفاته- إلا من حيث بنوته لآدم الذي خلقه بيده، ونفـــخ فـــيه من روحه وأسجد لَه الملائكة، وأكرمه بالنبوة، وكلمه قبلا[1] . ولما خالف النهي نسيانا، بادر بالتوبة، معترفا بالخطيئة ﴿ قَالا ﴾ هو وزوجته ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾(الأعـراف: ٢٣) فاجتباه ربه، وتاب علـــيه، وهـــداه . ومن كرامته عىى مولاه أن الله تعالى يعتذر لَه يوم القيامة ثلاثة معاذير بشـــأن تعذيب أولاده الكفار والعصاة، كما جاء في حديث أبي هريرة في المعجم الصغير للطـــبراني[2] . فهـــو أول الأنبياء، وسيد التائبين . فعلى أولاده أن يقتدوا بأبيهم الأقدم، والرســـول الأكرم . كلما خطئ منهم خاطئ، أو أساء مسيء، أسرع بالرجوع إلى الله، والإنابة إليه، حتى يكون يوم القيامة، يوم يدعى كل أناس بإمامهم، ممن يؤتى كتابه بيمينه، ويفوز برضاء الله ونعيمه .

******

١٨- سورة الكهف

روى البـــيهقي في الدلائل عن طريق ابن هشام عن زياد بن إسحاق: أن أهل مكة بعثوا رهطا منهم إلى اليهود، يسألونهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ؟ فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث: فإذا عرفها فهو نبي: سلوه عن أقوام ذهبوا في الأرض فلم يدر ما صنعوا؟ وسلوه عن ملك ذهب مـــن المشرق وإلى المغرب؟ وسلوه عن الروح؟ فرجعوا وسألوه، فبين لهم قصة أصحاب الكهف، وقصـــة ذي القرنين، وأبهم أمر الروح، وهو في التوراة كذلك، فندم اليهود . ووجه المناسبة: أن الجواب عن الروح تقدم في السورة السابقة، وذكر هنا الجواب عن القصتين .

---

(١) وأيضـــا فـــإن آدم مخلـــوق من أديم الأرض. فتكريمه لأجل تواضع أصله . وفي ذلك إشارة إلى أن الله يحب المتواضع ويكرمه. قال ﷺ: {من تواضع لله رفعه" ومن هنا كان الإنسان حين يضع وجهه على الأرض ساجدا لله تعالى} قريبا منه . قال النبي ﷺ: {أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد} .

(٢) وفي معجـــم الطـــبراني الكبير من طريق يزيد الرقاشي عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: {يشفع الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف، وعشرة آلاف ألف} أي مائة مليون وعشرة ملايين .

فــإن قيل: ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة، وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه . فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال ﴿ **قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا** ﴿٨٥﴾ ﴾(الإسـراء: ٨٥) فهذا الحديث الصـحيح يفيد أن السؤال عن الروح وقع بالمدينة، وفيها نزلت الآية . فالجواب: أن اليهود بعثوا إلى المشركين وهم بمكة ليسألوه عن الروح كما مر عن ابن إسحاق، وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل هذا الرجل . فقالوا: اســألوه عن الروح؟ فسألوه فأنزل الله ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ** ﴾(الإسراء: ٨٥) . فالسؤال وقــع من قريش بمكة بإرشاد اليهود . ونزلت الآية بسبب هذا السؤال، كما صرح به ابن عــباس . ثم لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، أعاد اليهود سؤاله عن الروح، إما لأنهم طمعوا أن يخــتلف جوابه، فيزعموا أنه ليس بنبي، وأما أن الذين شافهوه بالسؤال، غير الذين أرشدوا قريشـــا إليه . فأنزل الله الآية مرة ثانية، لإفادة أنه لا جواب لهم غير ذلك . وابن مسعود لم يقل: فنزلت الآية، وهي العبارة المعهود في سبب النزول . بل قال: ثم قال ﴿ **قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى** ﴾ ويؤخذ من هذه العبارة أن الآية كانت معروفة له، لنزولها قبل ذلك .

تنبـــيه: جــاء الجــواب عن الروح مبهما، ليكون دليلا لليهود على نبوة النبي ﷺ وصحة رسالته، لأنه عندهم في التوراة مبهم، ومن ثم ندموا على تقديم السؤال، وعلى هذا فالقرآن لا يفيد المنع من البحث في الروح[1]، أو كراهية الخوض في الكشف عن حقيقتها يقتضي ما يؤدي إلى النظر والاستدلال .

مناسبة أخرى: ختم الله تعالى السورة السابقة، بالحمد على صفاته الذاتية، لإفادة أن المستحق للحمد، لكمال ذاته، وتفرده في صفاته ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا** ﴿١١١﴾ ﴾ (الإسراء: ١١١) فافتتح هذه السورة بقوله ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا** ﴿١﴾ ﴾(النحل: ١) لإفادة أنه تعالى يستحق الحمد على إنزال الكتاب، وهو

---

(١) وقـــول الـــتاج الســـبكي في جمع الجوامع: وحقيقة الروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ فنمسك عنها، مبني على فهمه أن الكتاب والسنة يكرهان البحث، وليس كذلك . فقد بحث فيها الإمام مالك وغيره، أنظر كتاب الروح، لابن القيم .

أفضل النعم وأجلها، لأن فيه صلاح المعاش والمعاد، وبه تنال سعادة الدنيا والآخرة، مع إجابته عما يسأل عنه اليهود والمشركون، فالله تعالى يستحق الحمد لذاته، ولنعمه .

ومناسبة بين فاتحة تلك السورة وهذه: تلك بدأت بالتسبيح، وبدئت هذه بالتحميد . وهـــو يأتي بعد التسبيح . نحو ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾(النصــر: ٣) "سبحان الله والحمد لله"لأنه إثبات للكمال، بعد نفي النقص، فهو ترقى في وصف الله تعالى والثناء عليه .

تنبيه: فتحت هذه السورة ببشارة المؤمنين الذين يعملون الصالحات وإنذار للمشركين الذيـــن دعـــوا لله ولـــدا ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ ﴾(الكهف: ١-٤) وختمت بإيجاب العمل الصالح، والنهي عن الشرك ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا ﴾ يخاف ﴿ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝ ﴾(الكهـــف: ١١٠) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

فـــائدة: ثبت في صحيح مسلم عن أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال"وفي رواية لمسلم وأبي داود"عشر آيات من آخر سورة الكهف"والروايتان صحيحتان والحديث بروايتيه يحض على حفظ عشرين آية: عشر من أولها، وعشر من آخرها . أما العشر الأوائل فتشتمل على المعاني الآتية :

(في حمـــد الله على إنزال الكتاب، بشارة المؤمنين، إنذار المشركين الذين كذبوا على الله بنسبة الولد إليه، جعل ما على الأرض زينة لها وابتلاء لهم، الإشارة إلى أصحاب الكهف الذين تمسكوا بتوحيدهم، وهربوا إلى الكهف فارين بدينهم من قومهم المشركين) .

ومن تأمل هذه المعاني وتدبرها، على أن الدجال مشرك بادعائه الألوهية . وأن ما معه من متاع ومال، إنما هو ابتلاء وامتحان، واتخذ أهل الكهف قدوة له، فتمسك بدينه كما تمسكوا، واعتصم بتوحيده، والتجأ إلى الله، فحماه من الدجال، وعصمه من فتنته . وأراه كرامات، كما فعل مع أهل الكهف من قبل . والعشر الأواخر أولها، ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا

﴿(الكهف: ١٠٢) وهي تتفق مع سابقتها في المعنى المقصود، وهو إنذار المشركين الذين يتخذون بعض عباد الله آلهته، وتبشير المؤمنين . ثم تختم بإخلاص العبادة لله ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾(الكهف: ١١٠) وهذه المعاني-خصوصا الإخلاص- تعصم صاحبها والمتمسك بها من فتنة الدجال، والله تعالى أعلم .

******

١٩-سورة مريم عليها السلام

مناسبتها لما قبلها: أن السورة السابقة . اشتملت على قصص عجيبة، تدل على كمال قدرة الله تعالى، وبديع حكمته، كقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وقصة ذي القرنين . فجاءت هذه السورة مشتملة على قصص لا تقل عجبا وحكمة عن القصص السابقة . كإعطاء يحيى لزكريا بعد كبره وعقم امرأته، وحمل مريم بعيسى، وهي بكر لم تتزوج، وكلام عيسى وهو في المهد .

تنبيه: ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ قال لجبريل ﷺ: {ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟} فأنزل الله اعتذار جبريل في هذه الآية ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(مريم: ٦٤) .

سئلت مرة عن مناسبة وضعها بعد قوله تعالى في وصف جنات عدن ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾(مريم: ٦٢-٦٣) والذي يظهر لي في ذلك-والله أعلم بسر كتابه-أن الله تعالى ذكر رزق أهل الجنة، وأنه يأتيهم في وقتين منتظمين: بكرة وعشيا، لا يتخلف، ولا يتأخر، ولما كان الوحي رزق النبي ﷺ الروحي[1] . وغذاءه القلبي . وكان يتأخر أحيانا عنه كما في قصة أصحاب الكهف، ناسب أن يذكر بعد رزق أهل الجنة، ما يتعلق برزق سيدهم الذي هو أصل رزقهم، وسبب نعيمهم فقال على لسان الكلف به ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ أي ما نتنزل بالوحي الذي هو حياة روحك وغذاء قلبك، إلا بأمر ربك ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي هو مالك شأننا

(١) قال أبو شامة وغيره في قوله تعالى ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾(طه:١٣١) إنه القرآن .

كله، لا نملك معه شيئا، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾(مريم: ٦٤) أي لا ينسى شيئا أبدا، فلا بد أن يبعث لك رزقك الروحي في الوقت الذي يريده هو ﷻ ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ﴾(مريم: ٦٥) أي ما عليك إلا أن تعبده وتصبر على عبادته، وهو يتولى إمداد روحك، وتغذية قلبك . وهذا كما قال عند الكلام على رزقه الحسي ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ ﴾(طه: ١٣٢) فيؤخذ من الآيتين أم كلا من الرزق المعنوي والحسي يستجلب بعبادة الله وطاعته .

وفي الحديث {فإن استبطأ أحدكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله، فإن فضل الله لا ينال بمعصيته} وبهذا وضحت المناسبة بين الآيتين، والحمد لله على ما ألهم وعلم .

لطيفة: روى الطبراني عن أبي مريم الغساني، قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: ولدت لي الليلة جارية . فقال: "والليلة أنزلت على سورة مريم، سمها مريم[١] "

******

٢٠- سورة طه

تناسب السورة السابقة في اشتمالها على خوارق عجيبة، تدل كمال قدرة الله تعالى، وعنايته بخاصة خلقه .

قلب عصا موسى عليه السلام حية، وجعل يده بيضاء من غير سوء ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝ ﴾(طه: ١٩-٢٣) .

وألقته أمه رضيعا في اليم، فالتقطه عدوه فرعون ورباه في بيته ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ[٢] فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَـٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾(طه: ٣٨-٤٠) .

---

(١) هذا من أدلة الصوفية على أن المريد يرجع إلى شيخه في تسمية أولاده .

(٢) هذا أمر اليم بإلقاء موسى في الساحل عند بيت فرعون، فنفذ ما أمر به .

وألقى عصاه فانقلبت حية . فالتقمت ما صنعه السحرة ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝ ﴾(طه: ٦٩-٧٠) .

تنبيه: قوله تعالى ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ أخبر في هذه الآية أن فرعون عدو له ولموسى، والخبر لا يدخله نسخ، ومعنى هذا أن فرعون مات كافرا بلا شك . وقد غفل عن هذا من زعم أن فرعون قبل إيمانه، فوقع في خطأ جسيم[1] .

تنبيه آخر: فتحت هذه السورة بالحديث عن القرآن ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ﴾ (طه: ٢-٤) وختمت بالحديث عنه ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ ﴾(طه: ١٣٣) أي دليل ما في صحة الكتب المنزلة السابقة، وهو القرآن . فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٢١–سورة الأنبياء

مناســبتها لما قبلها: أن الله تعالى قال في آخر السورة السابقة ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ قبل النبي ﷺ ﴿ لَقَالُواْ ﴾ يوم القيامة ﴿ رَبَّنَا لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾ التي أوحيت بها إليه ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾(طه:١٣٤) فذكـــر هـــنا أنه أرسل إليهم رسولا، وأنزل عليه آيات فأعرضوا وكذبوا ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ ﴾(الأنبياء: ٢-١٠) .

تنبيه: قوله تعالى ﴿ مُّحْدَثٍ ﴾ لا يدل على خلق القرآن، كما زعمت المعتزلة . لأن المراد: محدث النزول، بدليل ﴿ يَأْتِيهِم ﴾ فإتيانه نزوله، وهو حادث قطعا . أما كلام الله تعالى– وهو القرآن الكريم – فقديم ليس بمحدث، لأنه صفة لله تعالى .

---

(١) أنظر ما كتبناه في هذا الموضوع في سورة يونس من كتاب خلاصة التفاسير .

مناسبة أخرى: ذكر الله تعالى في السورة السابقة إنجاءه لموسى وهارون ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾(طه:٧٧-٧٨) وذكر هنا إنجاءه لإبراهيم ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٦٨-٧٠) ولنوح ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(الأنبياء: ٧٦-٧٧) .

وهــؤلاء زعماء الرسل، أنجى الله كلا منهم بمعجزة، فنوح أبو البشر الثاني أنجاه الله بالطوفان، وإبراهيم أنجاه الله بإطفاء النار عنه، وموسى أعظم أنبياء بني إسرائيل وصاحب شريعتهم، أنجاه بانفلاق البحر له .

تنبيه: فتحت هذه السورة بالحديث عن قرب الساعة ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾(الأنبياء: ١) وختمت بالحديث عنه ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾(الأنبياء: ٩٧) فتناسب المطلع والمقطع .

******

٢٢- سورة الحج

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى تكلم عن البعث في ختام السورة السابق ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾(الأنبياء: ٩٦-١٠٤) فأمر هنا بالتقوى استعدادا لذلك اليوم الشديد هوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾(الحج: ١-٢) .

ومناسبة أخرى: ذكر الله تعالى في السورة السابقة أن جميع الرسل دعوا إلى وحدانية الله وإفراده بالعبادة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾(الأنبياء: ٢٥) وذكر هنا أنه يحكم بين أهل الأديان المختلفة يوم القيامة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(الحج: ١٧) وهذا وعيد شديد لكل فرق الكفر، لأنهم خالفوا دعوة الرسل المشار إليها في السورة السابقة .

تنبيهات :

الأول: قال محمود بن حمزة الكرماني في كتاب العجائب والغرائب: ورد في القرآن سورتان أولهما يا أيها الناس . في كل نصف سورة . فالتي في النصف الأول، تشتمل على شرح المبدأ–يعني سورة النساء–والتي في الثاني، على شرح المعاد–يعني هذه السورة .

الثاني: ذكر العلماء: أن هذه السورة من عجائب القرآن . لأنها تشتمل على المكي والمدني، والليلي والنهاري، والحضري والسفري، والحربي والسلمي، والناسخ والمنسوخ .

فالمكي من رأس ثلاثين إلى آخرها، والمدني من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين، والليلي خمس آيات من أولها، والنهاري من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشر، والحضري إلى رأس العشرين، والسفري أولها، والناسخ ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾(الحج: ٣٩) وهو الحربي، والمنسوخ ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾(الحج: ٦٩) ، وهو السلمي، نسختها آية السيف .

الثالث: افتتحت هذه السورة بأمر عامة الناس بالتقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾(الحج: ١) واختتمت بأمر المؤمنين بأفراد التقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾(الحج: ٧٧) وهو نوع لطيف من التناسب بين المطلع والمقطع بين العموم والخصوص والإجمال والتفصيل، عم أولا الناس، وأجمل التقوى، ثم خص ثانيا المؤمنين، وفصل أفراد التقوى .

******

٢٣- سورة المؤمنون

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى قال في ختام السورة السابقة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ (الحج: ٧٧) فذكر هنا أوصاف المؤمنين التي أفلحوا بسببها، وبين الفلاح بأنه وراثة الفردوس ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝ ﴾ (المؤمنون: ١-١١) .

مناسبة أخرى: قال الله تعالى في السورة السابقة ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ ﴾ (الحج: ٦٣) فذكر هنا كيفية اخضرار الأرض، بذكر ما ينبته فيها من أنواع الثمار ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ۝ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ۝ ﴾ (المؤمنون: ١٨-٢٠) .

تنبيه: قال الزمخشري في الكشاف: جعل فاتحة السورة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ وأورد في خاتمتها ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٧) فشتان بين الفاتحة والخاتمة .

قلت: وهو تناسب بالتضاد بين المطلع والمقطع .

******

٢٤- سورة النور

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى قال في آخر السورة السابقة ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ (المؤمنون: ١١٥) والاستفهام إنكاري، أنكر

حسباهم أنهم خلقوا عبثا، ثم نزه نفسه ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾(المؤمنون: ١١٦) عن العبث، فلم يخلق عباده إلا ليتعبدهم بالأمر والنهي، وليردهم إليه بعد فنائهم ليجزيهم على أعمالهم . فذكر في هذه السورة جملة من الأوامر والنواهي التي تعبدهم بها، وأشار في مفتتحها إلى البعث، بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾(النور: ٢) ولهذه المناسبة افتتح هذه السورة بقوله تعالى ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾(النور: ١) فوصفها بثلاث صفات: أنه أنزلها وفرضها، وأنزل فيها آيات بينات . مع أن سور القرآن تشاركها في هذه الصفات، لكنها جاءت هنا لمناسبة رد حسبان الكفار: أنهم خلقوا عبثا، وللتنبيه على أن ما فيها من أحكام يجب الاهتمام بها، لتعلقها بصيانة الأنساب والأعراض، وهما من الضروريات الخمس[1] المتفق على وجوب حفظها في جميع الملل . وهي مبينة بتفصيل في مبحث المناسبة، في مسالك العلة، من علم الأصول .

تنبيهات :

الأول: تضمنت السورة وجوب حد الزنا والقذف، ووجوب تصون المرأة، وعدم إبداء زينتها إلا لأفراد معدودين؛ ووجوب غض البصر من الرجال والنساء عما لا يحل وحرمة دخول منازل الأجانب إلا باستئذان، وبيان كيفية الاستئذان في هذا، وفي دخول الخدم على مخدوميهم، والأولاد على آبائهم وأمهاتهم، وإباحة الأكل من بيوت الأقارب والأصدقاء، وغير هذا مما يدخل في تنظيم الأسرة وآداب السلوك . والسورة تشير بهذه الأحكام إلى أنه لا يجوز أن يعيش المؤمنون في عبث وفوضى، كما كان الحال في الجاهلية . بل يجب أن يكون مجتمعهم أفضل المجتمعات: أنسابهم محفوظة من التلويث، وأعراضهم مصونة، موفورة الكرامة . وعلاقة بعضهم ببعض، أفرادا وجماعات مبنية على العفاف والتصون والاحترام . وكل هذا يؤكد الرد على ظن المشركين: أنهم خلقوا عبثا، لا لحكمة .

الثاني: ورد في الحديث: أن عبد الله بن أم مكتوم استأذن على رسول الله ﷺ، فأذن

---

(١) بقيتها: الدين، النفس، المال، وأضيف إليها العقل . شرع لحفظ الأول قتال الكفار، وقتل المرتد، ومحاربة المبتدعة . وشرع لحفظ الثانية القود في القتل العمد، والدية مغلظة في شبهه، ومخففة في الخطأ المحض، والقصاص في الجناية على الأعضاء . وشرع في حفظ الثالث قطع يد السارق . وشرع لحفظ الرابع إيجاب الحد في المسكر، والتعزير في المفتر .

لـــه، وعـــنده أم مسلمة وميمونة، فقال: " احتجبا منه" قالتا: إنه أعمى لا يبصرنا . قال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟" فهذا الحديث يفسر الآية، ويبين أن المراد منها وجوب غض بصر المرأة عن الرجل مطلقا لا فرق بين مبصر وأعمى، لأنها تشتهيه، كما أن الرجل يشـــتهيها، وهـــذا مما تساهل فيه الناس اليوم تساهلا كبيرا، أدى إلى وقوع جرائم خلقية فاحشـــة . فكم من أعمى يسر له عماه دخول البيوت وتلويث أعراض، وهو محل عطف من دخل بيوتهم، ولوث أعراضهم .

الثالث: صرح في فاتحة السورة باليوم الآخر ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾(النور: ٢) وفي خاتمـــتها بالرجوع إليه ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴾(النور: ٦٤) وهو تناسب بين المطلع والمقطع .

******

٢٥- سورة الفرقان

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى أثنى في السورة السابقة على المؤمنين الذين يسلكون الأدب الواجب في حق النبي ﷺ، وذم المنافقين على مخالفتهم ذلك ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النور: ٦٢-٦٣) فذكـــر هنا فضل النبي ﷺ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(الفـــرقان: ١) فهذه الآية كالتعليل لما سبق، وكأن الله تعالى يقول: إنما أوجبت مراعاة الأدب في حضرته، وحرمت عليكم أن تنادوه باسمه، وحذرتكم مخالف أمـــره، لأنـــه عبدي المختار، ومحا نظري من خلقي، خصصته بتتريل الفرقان، وبعثه إلى العـــالمين . ولهـــذا أخذ يرد على الكفار كلامهم الذي يدل على جهل بعلو مقامه، وعدم

إدراكهم لجلال منصبه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ ﴾(الفرقان: ٤) . ثم سلاه بقوله سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ ﴾ (الفرقان: ٢٠) فإذا طعنوا فيك بذلك، فقد طعنوا فيهم، فلا تحزن . وهذا مما يزيد في توضيح المناسبة وتأكيدها، والله تعالى أعلم .

تنبيه: جاء في فاتحة السورة ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾(الفرقان: ١) وفي خاتمتها ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾ (الفرقان: ٦١) وفي هذا تناسب بالمقابلة بين نور الأرض، ونور السماء، فالنبي ﷺ نور الأرض وسراجها، سماه الله سراجا منيراً ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾(الأحزاب: ٤٥-٤٦) ونوره أقوى من سرج السماء وكواكـبها، وأعم منها وأبقى، لأنه ينير القلوب، وهو مشرق لا يعتريه غروب . ولهذا قال بـن سمرة ﷺ: خرج رسول الله ﷺ في ليلة أضحيان، مقمرة ، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو في عيني أحسن من القمر، يشير إلى ما كساه الله من نور النبوة وجمالها، وإلى ما ألقي عليه من هيبة الوحي وجلاله .

******

٢٦-سورة الشعراء

ذكر الله تعالى في السورة السابقة هجر الكفار للقرآن، وعداوتهم للنبي ﷺ، وامتناعهم من الإيمان ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾(الفرقان: ٣٠-٣١) ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ ﴾(الفرقان: ٤١-٤٢) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾(الفرقان: ٦٠) .

فافتـتح هذه السورة بتسلية نبيه عما لحقه من الحزن بسبب كفرهم وعنادهم ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قاتلها غما وحزنا من أجل ﴿ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾(الشعراء: ٣)

ولعــل هنا معناها الأمر، أي ارحم نفسك ولا تقتلها حزنا على عدم إيمانهم ﴿ إِن نَّشَأْ ﴾ وقوع الإيمان منهم ﴿ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً ﴾ معجزة تخوفهم ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾(الشعراء: ٤) فيؤمنون . ثم ذكر بعض الرسل الذين لقوا من قومهم تكذيبا وعنادا في الكفر . زيادة في تسلية نبيه ﷺ، والتسرية عنه . وهذا من دلائل كرامته على مولاه . وفضله لديه .

******

٢٧- سورة النمل

لما زعم المشركون أن النبي ﷺ كاهن، وأن ما يتلوه من القرآن، يتلقاه من الشياطين . نفى الله ذلك في السورة السابقة ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾(الشعراء:٢١٠-٢١٢). ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾(الشعراء:٢٢١-٢٢٣). فأثبت هنا صفات القرآن التي تخالف الكهانة والشعر، وصرح بأنه متلقى من الله ﷻ ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾(النمل: ١-٣). ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ ﴾(النمل:٦). ثم ذكر خمس قصص وقعت في أزمان متعددة، وأمكنة مختلفة، تأكيد لكونه متلقي من حكيم عليم .

تنبيه: فتحت السورة بالحديث عن القرآن، كما مر، وختمت بالأمر بتلاوته ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ﴾ مكة ﴿ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾(النمل: ٩١-٩٢) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٢٨- سورة القصص

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى قال في السورة السابقة: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾(النمل: ٧٦) فقال هنا ﴿ نَتْلُوا۟

عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾(القصص: ٣) وذكر قصة موسى عليه السلام -وهو رسول بني إسرائيل، وصاحب شريعتهم- بتفصيل لم يذكر في سورة أخرى، وذلك منذ التقاط فرعون له وهو رضيع، إلى أن عاد إليه رسولا، وما تبع ذلك من مجادلات ومناقشات، انتهت بإغراق فرعون وقومه. وذكر قصة قارون. ولم تذكر في سورة غير هذه. وبعض ذلك مما اختلفوا فيه، حتى إن بعضهم أنكر قصة قارون.

تنبيهان:

الأول: قال تعالى ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾(القصص:٨) في هذه الآية دليلان على كفر فرعون لم يتنبه لهما من أدعى إيمانه:

أحدهما: الإخبار بأن التقاط آل فرعون لموسى، كان عاقبته أن كان لهم عدوا وحزنا، وعدو الرسول كافر بلا شك.

ثانيهما: الإخبار بأن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين، أي آثمين. ولو آمن فرعون، لم يكن عليه إثم، لأن الإيمان يجب ما قبله[1] وتقدم دليل ثالث في سورة طه.

الثاني: بدئت السورة بأمر موسى ونشأته، وقوله ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾(القصص: ١٧) وخروجه من وطنه، ثم عوده إليه مؤيدا منصورا. وختمت بأمر النبي ﷺ بأن لا يكون ظهيرا للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكة، ووعده بالعودة إليها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾(القصص: ٨٥) وقال في حق موسى ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ ﴾(القصص: ٧) قال الجلال السيوطي، وهو تناسب بديع بين مطلع السورة ومقطعها.

******

٢٩- سورة العنكبوت

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة افتتان بعض المؤمنين الفقراء بزينة قارون، وتمنيهم أن يكون لهم مثل ماله.

---

(١) إن قيل: هذا خبر عن فرعون قبل إغراقه الذي آمن عنده. قلنا: تقدم في سورة طه أن الخبر لا يدخله نسخ.

وأن أهل العلم نهوهم عن ذلك، وأفهموهم أن ثواب الله خير للمؤمن ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ۝ ﴾(القصص: ٧٩-٨٠) فذكر هنا أن المؤمن لا بد أن يختبر ويمتحن بالمصائب من فقر وغيره ليظهر صدق إيمانه[1] ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ﴾ على ظهور ومشاهدة ﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ﴾ كذلك ﴿ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ ﴾(العنكبوت:٢-٣) .

تنبيه: قال الله تعالى في فاتحة السورة ﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ ﴾(العنكبوت: ٦) وقال في خاتمتها ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾(العنكبوت: ٦٩) وهذا من المحسنات البديعة مر مثله في سورة إبراهيم عليه السلام، وهو تناسب بين المطلع والمقطع .

تنبيه آخر: كرت المجاهدة في القرآن مرتين: الأولى، في سورة الحج ﴿ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ ﴾(الحج: ٧٨) والثانية في هذه السورة ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ والمراد بالجهاد في الله أي في ذاته، ولأجل رضاه: جهاد النفس بكبح جماع شهواتها، وترويضها بأنواع العبادة والذكر حتى تنقاد، وهذا الجهاد أشق من الجهاد في سبيل الله الذي هو جهاد الكفار . وقد جاء تسميته بالجهاد الأكبر في حديث ضعيف، رواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال عند عودتهم من غزوة تبوك وقد وصلوا

(١) ولرعاية هذه المناسبة التي هي مقتضى الحال في هذا الموضع، لم يذكر حديث عن القرآن عقب كلمة (ألم) كما ذكر عقب إخواتها . أما سورة الروم فلم يأت في أولها حديث عن القرآن، لسبب ستعلق بصدقه . ذلك أن جيش الروم وفارس تلاقوا بأذرعات وبصرى في الشام، وكان بينهما حرب . فغلبت فارس، وبلغ الخبر مكة . فشق ذلك على الصحابة، وكانوا يحبون انتصار الروم، لأنهم أهل كتاب . وفرح كفار مكة بانتصار الفرس، لأنهم وثنيون مثلهم . فنزل ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِى بِضْعِ سِنِينَ ﴾(الروم: ٢-٤) فتراهن أبو بكر رضي الله عنه مع أبي بن خلف على أن الروم سينتصرون في بضع سنين . وانتصرت الروم على رأس سبع سنين من نزول الآية وكان أبي قد هلك، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه الخطر من أولاده، وكانت المراهنة جائزة حينئذ، وظهر صدق ما أخبر به القرآن . قال الزمخشري: هذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة، وأن القرآن من عند الله، لأنها إنباء عن علم الغيب الذي لا يملكه إلا الله .

ضـواحي المدينـة {قدمتم خير مقدم، رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد العبد هواه} .

والقرآن يشير إلى هذا أيضا . حيث ختم السورة بجملة ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾(العنكبوت: ٦٩) فأفادت أن المجاهد في الله من المحسنين، والإحسان أعلى مقامات الديـن الثلاث، وهي الإيمان والإسلام والإحسان، كما في حديث سؤال جبريل الثابت في الصحيح وغيرهما . ولفظ ﴿ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ يفيد تشريفا كبيرا للمجاهدين في الله بأن الله معهـم برعايـته وعنايـته، معهم بحفظه وكلاءته، معهم بتوفيقه وهدايته، معهم برضاه ونعمته . وللصوفية في هذا الموضع لطائف وإشارات، يضيق عنها نطاق العبارات .

******

٣٠- سورة الروم

مناسـبتها لما قبلها: أن الله تعالى ضربُ في السورة السابقة مثلا للأصنام وعابديها، بالعنكـبوت في الضـعف والوهـن، وعدم القدرة على دفع ضر، ولا تحصيل نفع ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾(العنكـبوت: ٤١) فذكر في هذه السورة أدلة كمال قدرته، وتفرده بالألوهية ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾(الروم: ٢٠) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ ﴾(الروم: ٢٢) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾(الروم: ٢٤) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾(الروم: ٢٥) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الروم: ٤٦) .

تنبيه: فتحت السورة بقوله تعالى ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾(الروم: ٦) وختمت بقوله تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(الروم: ٦٠) فتناسب المطلع والمقطع .

******

٣١- سورة لقمان

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى قال في السورة السابقة تسلية لنبيه ﷺ ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ۝ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ۝ ﴾(الروم: ٥٢-٥٣) وهذا تصوير بديع لعناد الكفار، وإعراضهم عن سماع القرآن، وعن الاعتبار بنعم الله وآياته . فذكر هنا من أصر منهم على الإعراض، ولج فيه، مع ذكر جزائه ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ ﴾(لقمان: ٦-٧) وذكرت البشارة على سبيل التهكم .

مناسبة أخرى: ذكر الله تعالى في السورة السابقة أدلة على كمال قدرته وتفرده بالألوهية . فأعاد هنا بعضها مضافا إليه ما لم يذكر هناك، وصرح بمطالبة الكفار أن يبينوا ما فعلت آلهتم من دونه؟ ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ ﴾(لقمان: ١٠-١١) .

مناسبة أخرى: ذكر البعث في السورة السابقة بضع مرات، منها: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾(الروم: ٢٧) فبين هنا أن كلا من البدء والإعادة هين عليه، ليس أحدهما أهون من الآخر، لأنه كنفس واحدة ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ ﴾(لقمان: ٢٨)[1] وهذه مناسبات ظاهرة، وبالله التوفيق .

******

٣٢- سورة السجدة

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة اختصاصه بعلم مفاتيح الغيب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى

---

(١) هذه الآية دليل على أن أهون في الآية بمعنى هين .

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ (لقمان: ٣٤) فذكر في مفتتح هذه السورة اختصاصه بالخلق والتدبير ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾(السجدة: ٤-٦) والمقصود في الموضعين بيان إحاطة علمه، وسعة قدرته، وإحكام تدبيره، وذيل الآية الثانية بأنه عالم الغيب والشهادة، للإشارة إلى أن الخلق والتدبير موافقان لما سبق في العلم القديم .

تنبيه: سورة العنكبوت والروم ولقمان والسجدة تتناسب في أنها مفتتحة بحرف (ألم) ونزلت بمكة . وتحدثت عن المبدأ والمعاد .

******

٣٣- سورة الأحزاب

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى توعد الكفار-في السورة السابقة-بأن يذيقهم من العذاب الأدنى في الدنيا بالقتل والأسر، قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (السجدة: ٢١) فأخبر هنا بتحقيق الوعيد المذكور ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾(الأحزاب: ٩) ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ ﴾(الأحزاب: ٢٥-٢٦) .

تنبيهان:

الأول: اشتملت هذه السورة على جملة من فضائل النبي ﷺ، وبعض خصائصه، وما يجب له من حقوق، وعلى فضل أزواجه وأهل بيته، والصادقين من أصحابه ﷺ .

فهي كلها تنويه بمقام النبي ﷺ، وبيان لرفع قدره، راجع كتابنا "فضائل النبي في القرآن"[١] أما قصة زيد وزوجته، فقد بينا في "خواطر دينية"[١] بالأدلة الدامغة، بطلان ما ذكره فيها كثير من المفسرين، مما لا يليق بجلال منصب النبوة، وبالله التوفيق .

الثاني: فتحت السورة بأمر النبي بالتقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾(الأحزاب: ١) وختمت بأمر أمته بها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾(الأحزاب: ٧٠) فتتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٣٤- سورة سبأ

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر -في ختام السورة السابقة- سؤال الكفار عن الساعة، وهو سؤال استهزاء، وأجابهم إجابة مبهمة تتضمن تهديدا بقربها ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (الأحزاب: ٦٣) فذكر هنا تصريحهم بإنكارها ورد عليهم، مع تأكيد الرد بمؤكدات ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾(سبأ: ٣) أما قوله تعالى ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾(سبأ: ٣) ، فهو لبيان إحاطة علمه، بحيث لا يضل عنه مخلوق، بل يحييهم جميعا لينال كل فرد جزاء عمله .

******

٣٥- سورة فاطر

مناسبتها لما قبلها: أنها افتتحت بالحمد كسابقتها، وتناسبتا من موضوعهما الذي افتتحتا بالحمد لأجله، وهو تفصيل بعض النعم الدينية والدنيوية، ويلاحظ أن افتتاح السورة السابقة، كان بحمد الله مالك ما في السموات وما في الأرض، وافتتاح هذه بحمد الله فاطرهما آي مبدعهما لا على مثال سابق، وهذا نوع من الاحتباك . ذكر في السورة السابقة ملكيته لما في السموات والأرض، وسكت عنهما، وذكر هنا إبداعه لهما، وسكت عما فيهما، وهو من المحسنات البديعية .

---

(١) طبع مكتبة القاهرة بالأزهر .

تنبيهان:

الأول: قال بعض العلماء: افتتاح سورة فاطر بالحمد لله، مناسب لختام ما قبلها من قوله تعالى ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾(سبأ: ٥٤) كما قال تعالى ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾(الأنعام: ٤٥) .

الثاني: أخرج أبو عبيد في فضائل القرآن عن مجاهد عن ابن عباس، قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بير، فقال أحدهما: أنا فطرتها . يقول: أنا ابتدأتها .

قلت: هذا اللفظ ومثله يسمى غريب القرآن . وقد أفرد بالتضعيف . ألف فيه أبو عبيد وابن دريد وابن الأنباري وتلميذه العزيزي . ومن أحسنها كتاب مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني .

قال ابن الصلاح: وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني . فالمراد به: مصنفو الكتب في معنى القرآن، كالزجاج والفراء والأخفش وابن الأنباري . قلت: وكذلك إعرابه حيث ورد في حديث أو أثر . أخرج البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعا {أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه} ورواه عن عمرو بن مسعود موقوفا، وروى أيضا من حديث ابن عمر مرفوعا {من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة، ومن قرأ بغير إعرابه كان له بكل حرف عشر حسنات} . قال الحافظ السيوطي: المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة، ولا ثواب فيها[1] .

******

(١) ولأنه اصطلاح مستحدث، لا يجوز حمل كلام الشارع عليه، وقد أخطأ من فعل ذلك خطأ كبيرا . أنظر كتابنا "بدع التفاسير" .

٣٦- سورة يس

حكى الله تعالى في السورة السابقة، عن الكفار حلفهم . لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من أهل الكتاب الذين كذبوا رسلهم، فلما جاءهم النبي ﷺ، حنثوا في يمينهم وكذبوه، وزادوا نفورا وتباعدا عن الهدى، مستكبرين عن الإيمان، وأرادوا المكر بنبيهم، حيث عزموا على تقييده أو نفيه أو قتله، وما دروا أن مكرهم السيئ لا يحيط إلا بهم، ولا يعود ضرره إلا عليهم . فهم بتكذيبهم ومكرهم، ينتظرون ما حل بالمكذبين قبلهم . لأن سنة الله مع مكذبي رسله لا تتبدل ولا تتحول ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾(فاطر: ٤٢-٤٣) وذكر في هذه السورة إنزال الكتاب على رسوله، لينذر أولئك القوم الذين لم يأتهم نذير، فهم غافلون عن الإيمان والهدى، وأن العذاب حق على أكثرهم لكفرهم، . وأشار إلى عذابهم يوم القيامة بأن تجعل الأغلال في أيديهم وتضم إلى أعناقهم، كما أرادوا أن يقيدوا نبيهم ونذيرهم . بعد أن افتتحها بالقسم على رسالته، ردا لإنكارهم لها ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾(يس: ١-٩) فكانت المناسبة بينهما ظاهرة، والله أعلم بسر كلامه .

تنبيه: ورد في فضل سورة يس أحاديث ضعيفة وواهية، أمثلها حديث معقل بن يسار: أن رسول الله ﷺ قال: "قلب القرآن يس لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، اقرءوها على موتاكم" رواه أحمد والأربعة إلا الترمذي، وصححه الحاكم، وفيه كلام . وهو أصل في قراءة هذه الصورة على الأموات . لكن حمل ابن القيم لفظ

الموتى فيه على المحتضرين، قال: / ليتذكروا توحيد الله والبعث ما يتبعه من نعيم أو عذاب. ونازعه الشوكاني بأن الأصل حمل اللفظ على حقيقته وهو الميت، لا المحتضر . وسميت يس قلب القرآن لأن ما فيها من التوحيد والبعث ودلائلهما محله القلب، لأنه من المعتقدات القلبية .

وقال الغزالي: سميت يس قلب القرآن، لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعلت قلب القرآن لذلك . وقال النسفي: يمكن أن يقال: إن هذه السورة ليس فيها تقرير إلا الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، وهو القدر الذي يتعلق بالقلب، وأما الذي باللسان والأركان ففي غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لا غير، سماها قلبا، ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر . لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة، والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى، ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه، ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة .

قلت: هذا يؤيد تأويل ابن القيم . كما يؤيده ما أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في الفضائل بإسناد ضعيف عن أبي ذر مرفوعا {ما ميت يموت فيقرأ عنده يس إلا هون الله عليه} .

وفي معجم الطبراني من حديث أنس {من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا} .

وللترمزي والدرامي من حديث أنس {إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات} .

وفي الموطأ للأمام مالك عن جندب قال قال رسول الله ﷺ {من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له} صححه بن حبان .

أما حديث يس لما قرئت له، فلا أصل له . لكن الشيخ إسماعيل الجبرتي وأصحابه باليمن، جربوا قراءتها لقضاء الحجات، بحيث صارت عندهم قطعية .

نعم . روى البيهقي عن أبي بكر ﷺ مرفوعا {سورة يس تدعى في التوراة المعممة تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وتدعى المدافعة والقاضية يدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة} قال البيهقي: حديث منكر . وروى المحاملي في أماليه من حديث عبد الله بن الزبير {من جعل يس أمام حاجة قضيت له} وله شاهد مرسل عند الدرامي .

وروى ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبريء . وفي المستدرك للحاكم عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: (من وجد في قلبه قسوة فليكتب يس في جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه) وأخرج ابن الضريس في فضائل القرآن عن يحيى بن أبي كثير قال: (من قرأ يس إذا أصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها إذا أمسى لم يزل في فرح حتى يصبح) ، أخبرنا من جرب ذلك .

قلت: المدرافي هذا على التجربة، أما الأحاديث فضعيفة كما قلنا، سوى ما نبهنا على صحته .

******

٣٧- سورة الصافات

ذكر الله تعالى في السورة السابقة استبعاد الكافر للبعث ورد عليه ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾(يس: ٧٧-٧٩) . فأعاد الكلام هنا على منكري البعث جميعا، مع ذكر جزائهم ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ۝ وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾(الصافات: ١٥-٢١) . ثم ذكر إطلاع بعض أهل الجنة على النار، وفيها صديقه الذي كان ينكر البعث في الدنيا ومخاطبته إياه على سبيل الشماتة: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ۝ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ۝ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ

ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الصافات: ٥١-٥٧) ثم أخذ يعيد عليه كلامه في الدنيا تبكيتا واستهزاء ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا ﴾ ما نحن فيه من النعيم ﴿ لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (الصافات: ٥٨-٦٠) وهذه مناسبة واضحة، والله أعلم .

تنبيه: قال أبو بكر بن العربي المعافري: أخبرنا أبو بكر الفهري قال: أنبأنا التميمي، أنـبأنا هـبة الله المفسـر، قال: نزل القرآن بين مكة والمدينة إلا ست آيات، نزلت لا في الأرض ولا في السماء: ثلاث في سورة الصافات ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الصافات: ١٦٤) الآيات الثلاث . وواحدة في الزخرف ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾(الزخرف: ٤٥) ، والآيتان من آخر سورة البقرة، نزلتا ليلة المعراج .

قال ابن العربي: ولعله أراد في القضاء بين السماء والأرض . قال الحافظ السيوطي: لم أقـف على مستند لما ذكره في الآيات المتقدمة إلا آخر البقرة، فيمكن أن يستدل له بما أخرجه مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى، الحديـث . وفـيه: فـأعطى رسول الله ﷺ فيها ثلاثا: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن يشرك من أمته بالله شيئا المقحمات[1] .

قلت: وجه المناسبة الآيات الثلاث المذكورة في هذه السورة لما قبلها من الآيات: أن الله تعالى لما حكى قول الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات له سبحانه فقال: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ ﴾ والمراد بالجنة الملائكة، لاجتنانهم أي استتارهم ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ ﴾ أي المشركين ﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ في العذاب في العذاب يوم القيامة، نزه نفسه عما وصفوه به ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ ثم استثنى المؤمنين ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ فانهم غير محضرين في العذاب . ثم خاطب المشركين ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ من الآلهة (مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ) على الله ﴿ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ أحدا من عباده ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ مثلكم . ثم حكى كلام الملائكة يتبرأون من المشركين وعبادتهم ﴿ وَمَا مِنَّآ ﴾ أحد ﴿ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾ لا يتعداه في عباده مولاه . منا

(١) بضمك الميم وسكون القاف وكسر الحاء . يعني الكبائر، لأنها تقحم مرتكبها أي تدخله النار .

الراكع ومنا الساجد ومنا القائم ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ أجنحتنا أو أقدامنا في صلاتنا ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ (الصافات:١٥٨-١٦٦) المنزهون الله عما يصفه به المشركون من ولديتنا له، وما نحن إلا عبيده المخلصون . فظهر تناسب الآيات وترابطها والحمد لله .

تنبيه آخر: إن كان قوله تعالى: ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ (الصافات:١) وصفا للملائكة-وهو الراجح-فهو معه قوله تعالى هنا ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ (الصافات: ١٦٥) من تناسب المطلع والمقطع .

******

٣٨- سورة ص [1]

مناسبتها لما قبلها: الاشارة إلى جملة من قصص الأنبياء وما امتحن به بعضهم . ذكر في السورة السابقة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس . وذكر في هذه السورة داود وسليمان وأيوب وإسماعيل واليسع وذو الكفل وإسحاق ويعقوب .

مناسبة أخرى: بين في ختام تلك السورة كفر المشركين بنسبتهم الملائكة بنات الله تعالى ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ۝ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ۝ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (الصافات:١٤٩-١٥٢) وبين هنا كفرهم بنوع آخر، وهو اعتقاد آلهة مع الله، وتكذيبهم للرسول، ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (ص:٤-٥) وهذه مناسبة ظاهرة .

تنبيه: فتحت هذه السورة بذكر القرآن ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ (ص:١) ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ (ص:٨) وختمت به ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (ص:٨٦-٨٧) فتناسب المطلع والمقطع.

---

(١) من المناسبة اللطيفة أن افتتاح هذه السورة بحرف (ص) مؤذن بما ذكر فيها من خصومات متنوعة ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ ﴾ (ص:٢١) ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ (ص:٦٤) ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ (ص:٦٩) .

٣٩- سورة الزمر

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى أمر نبيه في ختام السورة السابقة أن يقول للكفار، إنه ليس من المتكلفين، أي المتقولين للقرآن من قبل أنفسهم ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾(ص:٨٦) فذكــر هنا ان تنزيل من الله العزيز الحكيم، وأكد إنزاله بالحق، لإفراد الله بالعبادة، على خلاف عمل المشركين الذين ذكر عنهم في السورة السابقة أهـــم اتخـــذوا آلهة مع الله . وحكى عنهم هنا قولهم، أهم إنما عبدوها لتقربهم إليه ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(الزمر:١-٣) .

******

٤٠- سورة غافر

ذكـــر الله تعالى في السورة السابقة أنه يحكم يوم القيامة بين المسلمين والمشركين ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾(الزمر:٣) بين المسلمين الموحدين والكفار المشركين ﴿ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(الزمـــر:٣) وهـــو التوحيد والشرك . وحكمه أن يدخل المسلمين الجنة والكفار النار . فذكر هنا حكمه المذكور ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾(غافر:٧) يقولون ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ﴾ جزاء ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ﴾ جزاء ﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ ﴾ يوم القيامة ﴿ لَمَقْتُ ٱللَّهِ ﴾ أنفسكم على شرككم به ﴿ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ اليوم حين أطلعتم على بطلان عملكم ﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ في الدنيا ﴿ فَتَكْفُرُونَ ۝ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝ ﴾ يقولون هذا بعد دخولهم النار ﴿ ذَٰلِكُم ﴾ العذاب الذي أنتم

فـيه ﴿ بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ ﴾ في الدنيا ﴿ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب الدائم ﴿ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾(غافر:٧-١٢) وهذه مناسبة واضحة .

مناســبة أخرى: ذكر الله تعالى في ختام السورة السابقة نهاية الدنيا وقيام الناس للبعث، ومصير الكفار إلى النار، والمتقين إلى الجنة ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾(الزمر:٦٨)، إلى آخــر الســورة، فافتتح هذه السورة ببعض صفاته التي تناسب ما مر ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ بخلقــه لا يعزب من أعمالهم شيء، فيجازي كلا منهم بعمله ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾ للمؤمنين ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ ممن تاب منهم ومن غيرهم ﴿ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ﴾ للكفــار بإدخالهم جهنم زمرا ﴿ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ ﴾ صاحب الفضل، حيث تفضل على المتقين فأدخلهم الجنة زمرا، بعد أن عمهم وغيرهم فضله في الدنيا ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾(غافر:١-٣) المرجع بعد فناء العالم، حيث يلقى المؤمنون والكافرون جزاءهم المذكور فيما سبق .

******

٤١- سورة فصلت

تناسبت هذه السورة مع التي قبلها في الموضوع، وهو ذكر أدلة وحدانية الله تعالى، وذم الشرك، والإنذار لما يحصل للمشركين من الهلاك في الدنيا، والذاب في الآخرة .

وكذلك بقية آل حم، كلها متناسبة في الموضوع المذكور، لاشتراكها فيه وفي البدء بحــرف ﴿ حمٓ ﴿١﴾ ﴾(فصــلت:١) وفي كونهــا نزلت بمكة . ونذكر مع ذلك مناسبة لكل سورة، بحيث ما يفتح الله تعالى .

تنبيه: فتحت السورة بالحديث عن القرآن ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾(فصلت:٣) وختمت بالحديث عنه ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ ﴾(فصلت:٥٢) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

٤٢- سورة الشورى

من المناسبة بينها وبين ما قبلها: أن الله تعالى قال في ختام السورة السابقة يخاطب نبيه ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ ﴾ القرآن ﴿ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾(فصلت:٥٢) فأثبت في افتتاح هذه السورة أن الله أوحى إلى نبيه كما أوحى إلى الأنبياء من قبله ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الشورى:٣) فهو رد لكفر المشركين بالقرآن، وإثبات أنهم في ضلال بعيد .

تنبيه: فتحت السورة بالحديث عن الوحي ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ ﴾(الشورى:٣) الآية . وختمت بالحديث عنه ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾(الشورى:٥٢) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٤٣- سورة الزخرف

ذكر الله في ختام السورة السابقة أنه أوحى إلى رسوله روحا أي قرآناً تحيا به القلوب، وقد كان قبل الوحي لا يعلم ما هو الكتاب؟ ولا ما هي شرائع الإيمان؟ فصار به هاديا ودالا إلى صراط مستقيم ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الشورى:٥٢) . فذكر هنا أنه جعله قرآنا عربيا ليعقله قومه، ويفهموا ما فيه من أحكام وتشريعات، وأن الله لم يكن ليهملهم لإشراكهم، فلا ينزل عليه كتابا . ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝ ﴾ (الزخرف:٣-٥) وهذه من المناسبات الظاهرة، والله أعلم .

تنبيه: ذكر في أوائل السورة قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ ﴾ (الزخرف:١٥) الآيات . وفي أواخرها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝ ﴾(الزخرف:٨١) فتناسب المطلع والمقطع .

٤٤- سورة الدخان

من المناسبة بينها وبين ما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة شكوى نبيه من عدم إيمان قومه، وأمره بالصفح عنهم، وهددهم بأنهم سوف يعلمون ما يحصل لهم من العـذاب ﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ ﴾(الزخرف:٨٨-٨٩) فبين هنا نوع العذاب الذي توعدهم به ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝ ﴾(الدخان:١٠-١٦) وهذه مناسبة ظاهرة، والله ﷻ أعلم .

مناسبة بين فاتحة السورتين: فتحت تلك بالحديث عن القرآن ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ ﴾(الزخرف:١-٣) وفتحت هذه بالحديث عنه أيضا ﴿ حمٓ ۝ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ ﴾(الدخان:١-٣) .

تنبيه: فتحت السورة بالحديث عن القرآن كما مر آنفا، وختمت بالحديث عنه ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ ﴾ القرآن ﴿ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾(الدخان:٥٨) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

******

٤٥- سورة الجاثية

ذكر الله تعالى في ختام السورة السابقة أنه يسر القرآن بلسان نبيه أي بلغته العربية، ليتذكر العرب به ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ ﴾(الدخان:٥٨) فذكر هـنا أن الكـتاب أي القرآن أنزله الله العزيز الحكيم ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾(الجاثية:١-٢) ومن حكمته أن جعله عربيا، ليملك على العرب- وهو أئمة اللسان، وزعماء البيان-أزمة قلوبهم ويسوقهم بسوط الحجة، إلى الاعتراف بفصاحته، والعجز عن معارضته . وتلك مناسبة ظاهرة، والله أعلم بسر كتابه .

تنبيه: فتحت السورة بصفتي العزيز الحكيم، كما مر آنفا وختمت بهما ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الجاثية:٣٧) فتناسب المطلع والمقطع .

وتناسبا أيضا بذكر السموات والأرض في الافتتاح ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الجاثية:٣) وبذكرهما في الختام ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الجاثية:٣٦) .

******

٤٦- سورة الأحقاف

من المناسبة بينها وبين ما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة ما يحصل للكفار من العذاب يوم القيامة، لإعراضهم عن القرآن، واستكبارهم عن الإيمان ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾(الجاثية:٣١-٣٥) فذكر هنا أن الكتاب الذي أعرضوا عنه تنزيل من الله العزيز الحكيم وذكر أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ليدل على ربوبيته ووحدانيته . وأن لهذا العالم أجلا ينتهي عنده، ويأتي يوم القيامة بما فيه من العذاب الذي أنذروا به فيما سبق . وهم عما أنذروا معرضون لا يؤمنون ﴿ حمٓ ۝ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ (الأحقاف:١-٣) .

مناسبة أخرى: ختمت السورة السابقة بصفتي العزيز الحكيم وفتحت هذه بهما أيضا .

تنبيه: فتحت السورة بالخبر عن إعراض الكفار عما أنذروا به كما سبق، وختمت بالخبر عن إهلاكهم ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(الأحقاف:٣٥) وهو تناسب بين المطلع والمقطع .

٤٧- سورة محمد ﷺ

ذكــر الله تعالى في السورة السابقة أنه صرف إلى النبي ﷺ نفرا من الجن يستمعون القرآن، فلما حضروه أنصتوا له، فلما انتهى ذهب إلى قومهم منذرين بما سمعوه مؤمنين به ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ ﴾(الأحقاف:٢٩-٣٠) . فذكر هنا أن من الإنس من لم يفقه القرآن، ولا فهم له معنى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۝ ﴾(محمــد:١٦) . بــل بلغ بهم الجهل والعناد أن أخرجوا النبي ﷺ من بلده ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۝ ﴾(محمــد:١٣) والمناســبة في هذا بيان ما بين جنس الجن والإنس من التباين، وأن الجن أسرع إلى الطاعة من الإنس، وهي مناسبة ظاهرة .

تنبـــيه: ســألني المرحوم الدكتور محمد عبد السلام العيادي . لم قال الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾(الأحقاف:٣٠) و لم لم يذكروا عيسى؟ فأجبت: لم يذكروا عيسى لسببين:

أحدهما: أن عيسى بعث متمما لشريعة موسى، وتابعا لها .

ثانيهما: أن الإنجيل أغلبه مواعظ ألقاها عيسى على الحواريين، و لم يكتب في كتاب . والأناجيل الموجودة اليوم، كتبت بعد رفع عيسى بزمن طويل، وهي تحتوي على سيرته وبعــض أقوالــه، بخــلاف التوراة، فإنها كانت مكتوبة في الألواح، وتشتمل على تشريع وقصص، فأشبهت القرآن من هذه الجهة، فمن ثم ذكروا موسى عليه السلام .

ويجــوز أن يكونــوا على شريعته، وإن لم يكن مرسلا إليهم . لأن من أتبع شريعة صــحيحة قــبل نسخها، كان ناجيا عند الله، وإن لم يكلف باتباعها . وعيسى عليه السلام لم ينسخ من شريعة موسى إلا قليلا .

مناســبة أخـــري: ختمت السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(الأحقاف:٣٥) . وافتتحت هذه ببيان الفاسقين: أهم الكافرون، مع زيادة فائدة، هي الإخبار بأن الله أبطل أعمالهم الصالحة لكفرهم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾(محمد:١) وهذه مناسبة واضحة .

تنبيه: فتحت السورة بالآية المذكورة وذكر في خاتمتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾(محمد:٣٤) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٤٨– سورة الفتح

حض الله تعالى في السورة السابقة على جهاد الكفار، وذم المنافقين على جبنهم وتلكئهم عن الجهاد، وتواطئهم مع المشركين على عداوة النبي ﷺ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝ طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾(محمد:٢٠-٣٠) .

فأثنى في هذه السورة على المؤمنين الذين بايعوا النبي ﷺ على الجهاد، وأخبر برضاه عنهم، وأثابهم فتحا ومغفرة لذنوبهم، وجنات تجري من تحتها الأنهار . كما عرج على المنافقين بالذم والوعيد، وهذه مناسبة في غاية الوضوح، والله تعالى أعلم .

تنبيه: فتحت السورة بذكر ما امتن الله به على نبيه من الفتح المبين، والنصر العزيز، وهداية الصراط المستقيم، وإنزال السكينة في قلوب أصحابه لزيادة إيمانهم ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ۝ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾(الفتح:١-٤) وختمت بالثناء عليه وعلى أصحابه، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾(الفتح:٢٨-٢٩) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

******

٤٩- سورة الحجرات

ذكــر الله تعالى في السورة السابقة بعض ما أنعم به على نبيه من الفتح المبين، والعصمة المكــني عــنها بالمغفرة، وإتمام النعمة، والنصر العزيز، والهداية إلى الصراط المستقيم، وإرساله بــالهدى وديــن الحق . فذكر هنا ما يجب في حقه من الاحترام والتوقير، لأنه رسوله المختار، وصفوته من خلقه . فتوقيره توقير لله ﷻ، كما أن مبايعة له حسبما تقدم في السورة السابقة .

مناسبة أخرى: ختم الله تعالى السورة السابقة بالثناء على الصحابة، وذكر لهم مثلين في التوراة والإنجيل، ووعدهم مغفرة وأجرا عظيما . فافتتح هنا ببيان ما يجب عليهم لرسول الله ﷺ من التعظيم والأدب لأن بصحبته نالوا الشرف بذلك الثناء، وباتباعه فازوا بسعادة الدارين، فلا ينبغي لهم التقدم بين يديه، ولا مخاطبته كما يخاطب بعضهم بعضا . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾(الحجرات:١-٥) . وتلك مناسبة ظاهرة ليس بها خفاء .

تنبيه: فتحت السورة بإثبات صفتي السمع والعلم لله تعالى، كما مر آنفا . وختمت

بإثبات صفتي العلم والبصر ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾(الحجرات:١٨) وهو من تناسب المطلع والمقطع .

******

٥٠- سورة ق [(١)]

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى وجه في السورة السابقة خطابا للناس عامة: أنه خلقهم من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبا وقبائل، لتعارفوا فيما بينهم . لا ليتفاخروا بالأنساب والأحساب، وأن أكرمهم عنده أتقاهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(الحجرات:١٣) فذكر هنا ما أعد للمتقين من الكرامة عنده يوم القيامة ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾(ق:٣١-٣٥) والله تعالى أعلم .

تنبـــيه: فتحـــت السورة بذكر القرآن ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾(ق:١) وختمت به أيضا ﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾(ق:٤٥) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

******

(١) كثر في هذه السورة ذكر كلمات فيها حرف (ق) ﴿ ق وَالْقُرْآن الْمَجيد ﴾ . ﴿ قَدْ عَلمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْض ﴾ . ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسقَات ﴾ . ﴿ إذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَان عَن الْيَمين وَعَن الشِّمَال قَعيدٌ ﴾ . ﴿ مَا يَلْفظُ منْ قَوْل إلَّا لَدَيْه رَقيـــبٌ عَتيدٌ ﴾ . ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْت بالْحَقِّ ﴾ . ﴿ مَعَهَا سَائقٌ وَشَهيدٌ ﴾ . ﴿ وَقَالَ قَرينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتيدٌ ﴾ . ﴿ أَلْقيَا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّار عَنيد ﴾ . ﴿ فَأَلْقيَاهُ في الْعَذَاب الشَّديد ﴾ . ﴿ قَالَ قَرينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ . ﴿ قَالَ لا تَخْتَصمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إلَيْكُمْ بالْوَعيد ﴾ . ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لجَهَنَّمَ هَل امْتَلأْت وَتَقُولُ هَلْ منْ مَزيد ﴾ . ﴿ وَكَـــمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ منْ قَرْن هُمْ أَشَدُّ منْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا في الْبلَاد ﴾ . ﴿ إنَّ في ذَلكَ لَذكْرَى لمَنْ كَانَ لَهُ قَلْـــبٌ أَوْ أَلْقَـــى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيدٌ ﴾ . ﴿ وَاسْتَمعْ يَوْمَ يُنَاد الْمُنَاد منْ مَكَان قَريب ﴾ . ﴿ فَذَكِّرْ بالْقُرْآن مَنْ يَخَافُ وَعيد ﴾ . وهي مناسبة واضحة بين مفتتح السورة وبين بقيتها .

٥١- سورة الذاريات

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة ما أعد للكفار من عذاب، وللمؤمنين من ثواب، وختمها بذكر صيحة البعث وما يعقبها ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾(ق:٤١-٤٤) فأقسم ﷻ هنا عدة أقسام على أنم ما يوعدون من البعث صادق، وأن الدين-وهو الجزاء المذكور فيما مر- واقع لا محالة ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾ ﴾(الذاريات:١-٦) وهذه مناسبة واضحة، والله تعالى أعلم .

تنبيه: فتحت السورة بذكر يوم البعث والجزاء، وختمت بذكره أيضا ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(الذاريات:٦٠) فتناسب مطلعها ومقطعها.

******

٥٢- سورة الطور

ختم الله تعالى السورة السابقة بأن للكفار من هذه الأمة نصيبا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الكفار الهالكين قبلهم، فلا يستعجلون به ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾(الذاريات:٥٩-٦٠) فأقسم هنا في هذه السورة أقساما عظيمة، على أن العذاب واقع بالكفار يوم القيامة، غير مدفوع عنهم ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾(الطور:١-١١) .

مناسبة أخرى: تناسبت هذه السورة والتي قبلها في افتتاح كل منهما بالقسم على حقية البعث، وعذاب الكفار .

تنبيه: ذكر في فاتحة السورة وعيد للكفار بأن العذاب واقع بهم يوم القيامة، وذكر في خاتمتها مثل ذلك ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾(الطور:٤٥-٤٦) فتناسب فيها المطلع والمقطع.

******

٥٣- سورة النجم

حكى الله تعالى في السورة السابقة قول الكفار في النبي ﷺ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(الطور:٣٠-٣٤) فأقسم هنا على تبرئة نبيه مما اتهموه به، وأنه لا ينطق إلا عن وحي وتعليم منه ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾(النجم:١-٥) . نفى عنه الضلال والغي والنطق عن الهوى . وأثبت أن كلامه إنما هو بالوحي، وأنه يتلقاه من جبريل عليه السلام، وهذا أبلغ ما يكون في رد كلام الكفار السابق .

مناسبة أخرى: ختمت السورة السابقة بقوله تعالى ﴿ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾(الطور: ٤٩) فافتتحت هذه بقوله ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ ﴾(النجم:١) .

تنبيه: فتحت السورة بالحديث عن النبي ﷺ كما مر، وختمت بالحديث عنه أيضا ﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ ﴾(النجم:٥٦) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٥٤- سورة القمر

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى أخبر في ختام السورة السابقة بقرب الساعة وأنه لا يكشفها أي يظهرها إلا هو سبحانه ﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ﴾(النجم:٥٧-٥٨) فذكر دنا قربها أيضا مع ظهور علامة من علاماتها ﴿ ٱقْتَرَبَتِ

ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾(القمر:١) وأخبر أن الكفار أعرضوا عن آية انشقاقه ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾(القمر:٢) .

مناسبة أخرى: أخبر تعالى هناك أن الكفار أعرضوا عن القرآن ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾(النجم:٥٩-٦١) أي لا هون عن التذكر به، والتدبر لما فيه . فأخبر هنا أنه يسر القرآن للتذكر والاتعاظ وأمر بالاتعاظ به ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾(القمر:٢) تكررت هذه الآية في هذه السورة عدة مرات للحض على التذكر بالقرآن والاتعاظ به، على خلاف ما اتبعه الكفار من الإعراض عنه[1] .

تنبيه: فتحت السورة بذكر الساعة كما مر آنفا، وختمت بذكرها أيضا ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾(القمر:٤٦) فتناسب المطلع والمقطع .

******

٥٥- سورة الرحمن

مناسبتها لما قبلها: أن تلك السورة ختمت باسمين من أسماء الله الحسنى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾(القمر:٥٤-٥٥) ففتحت هذه السورة بذكر اسمه الرحمن، إشارة إلى أن رحمته عمت الدنيا والآخرة، وأن أهل الجنة إنما دخلوها، ونالوا تلك الحظوة برحمته . وفي الحديث الصحيح: {قال ﷺ : لن يدخل أحدكم الجنة بعمله . قالوا: ولا أنت يا رسول الله ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه} وبها تعلموا القرآن، ووفقوا للعمل به ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ﴾(الرحمن:١-٢) .

وأيضا فإن الأسماء الثلاثة صيغ تكثير، فمعنى مليك: واسع الملك، ومقتدر: واسع القدرة، والرحمن: واسع الرحمة، وفي ذلك إشارة إلى أن ما فيه من أهل الجنة من نعيم وحظوة لا ينقطع ولا يزول، لأن مصدره من هو موصوف بتلك الصفات العظيمة .

---

(١) مناسبة ثالثة: أشير في السورة السابقة على أربع قصص على سبيل الإجمال ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤) ﴾(النجم:٥٠-٥٤) وذكرت في هذه السورة على سبيل التفصيل .

وأيضـــا فإن السورة السابقة ذكرت ما يلقاه المتقون من النعيم في الجنة على سبيل الإجمال، ففصلت هذه السورة بيان النعيم بذكر أنواعه المختلفة، في جنات متعددة . كما بينـــت أنـــه لا يختص بالمتقين من الإنس بل يشمل معهم المتقين من الجن[١] فما في هذه السورة، تفصيل وبيان لما في تلكن والله تعالى أعلم .

تنبيه: روى الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن جابر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن، من أولها إلى أخرها . فسكتوا، فقال: {لقد قـــرأتها عـــلى الجن فكانوا أحسن مردودا منكم . كنت كلما أوتيت على قوله ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ الآية . قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد} .

قلـــت: يستحب قول هذا عند سماع هذه الآية، وهو من الأدب المأخوذ عن الجن، ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر، وهي فن لطيف، من فنون علم الحديث الشريف .

أمـــا حديث {لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن} رواه البيهقي في الشـــعب مـــن حديـــث علي عليه السلام، فهو حديث ضعيف . وسميت بذلك لاشتمالها على وصف الجنان ونعيمها، وما فيها من حور مقصورات في الخيام، وهن عرائس الجنان .

******

٥٦-سورة الواقعة

ذكـــر الله تعالى في السورة السابقة نعيم أهل الجنة بإسهاب، فكان من المناسب أن يقسم هنا المخلوقات إلى ثلاثة أقسام:

السَّابِقُونَ : المقربون .

وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ: وهم أهل الجنة .

وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ: أي أصحاب الشمال، أو المكذبون الضالون: وهم أهل النار . المعبر عنهم بالمجرمين في السورة السابقة .

---

(١) وفي هـــذا رد على من زعم أن مؤمني الجن لا يدخلون الجنة، وإنما جزاؤهم أن يجاروا من النار . وهو قول باطل، وإن قاله بعض ائمة أهل السنة .

فاستوفت السورتان أنواع المنعمين والمعذبين، أو السعداء والأشقياء والله تعالى أعلم

تنبيه: فتحت السورة بتقسيم الخلق إلى ثلاثة أنواع: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ ﴾(الواقعة:٧-١٠) وختمت بهذا التقسيم أيضا ﴿ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۝ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ ﴾(الواقعة:٨٨-٩٤) فتناسب فيها المطلع والمقطع .

فائدة: روى أبو عبيد في فضائل القرآن والحارث بن أبي أسامة في مسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ، مرفوعا: {من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا} هذا حديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ، لكن ثبت من كلام ابن مسعود، وهو يدخل في باب الخواص، والمدار فيها على التجربة . ولعل السر في هذه السورة: أن تاليها في كل ليلة، يتلو فيها قول الله تعالى يخاطب الكفار-بعد تعداد نعمه عليهم- ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ أي شكر رزقكم ﴿ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝ ﴾(الواقعة:٨٢) فيحمله على شكر رزق الله ونعمته، حتى لا يكون مثلهم . فيفيض الله عليه الرزق، لقوله تعالى ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾(إبراهيم:٧) والله تعالى أعلم .

******

٥٧- سورة الحديد

بينت السورة السابقة أنواع الخلق يوم القيامة، وقسمت أهل الجنة قسمين: سابقين مقربين . وأصحاب ميمنة . وذكرت في أهل النار نوعا واحدا، هم أصحاب المشأمة المكذبون الضالون . فضمت هذه السورة إليهم نوعا آخر، كان الناس في الدنيا يحسبونهم مؤمنون، لأنهم كانوا يظهرون الإيمان وأعماله، وهم في الباطن مكذبون، أولئك هم المنافقون ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا

وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الحديد:١٢-١٥) فما هنا متم لما هناك وموضح لهن والله تعالى أعلم .

مناسبة أخرى: ختمت السورة السابقة بالأمر بتسبيح الله ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾ (الواقعة:٩٦) وفتحت هذه بالخبر عن تسبيح المخلوقات لله تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ (الحديد:١) وهذه الآية كالعلة للأمر السابق . أي سبح ربك، لأن المخلوقات سبحته، فلا تشذ عنها .

وهـــي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم . وقال بعض العلماء: افتتاح سورة الحديد بالتسبيح، مناسب لختام سورة الواقعة بالأمر به (١) .

******

٥٨- سورة المجادلة (٢)

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة وعيد المنافقين بدخول النار، لأنهم فتنوا أنفسهم بإبطان الكفر، وتربصوا بالنبي عليه الصلاة والسلام وبالمؤمنين الدوائر ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾ (الحديد:١٤) . فذكر هنا نوعا آخر من الكفر، أوجب لهم الخلود في النار أيضا، وهو مولاهم لليهود ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ وهم

---

(١) "تنبيه" فتحت السورة بالثناء على الله تعالى ، حسبما مر . وختمت به أيضا ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحديد:٢٩) وهو تناسب بين مطلعها ومقطعها .

(٢) قد يقع السؤال عن المناسبة التي تربط بين مفتتح السورة-وهو يتحدث عن الظهار-وبين بقية آياتها التي تتكلم على اليهود والمنافقين . والجواب أن الله تعالى لما ذكر حكم الظهار-وكان يخالف حكمه عند العرب في جاهليتهم- ذيله بقوله ﴿ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ بقبول تلك الأحكام، من الإعتاق والصيام والإطعام، لأن من لم يقبل حكم الله لا يكـــون مؤمـــنا ﴿ وَتِلْكَ ﴾ الأحكام المذكورة ﴿ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ لا يجوز تعديها . ثم توعد الذين لا يقبلونها رجوعـــا إلى حكم الجاهلية بقوله ﴿ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المجادلة:٤) فكان توعد الكافرين مناسبة للتخلص إلى التحدث عن اليهود والمنافقين، لأن الكفر يربط بينهم، ومحادة الله ورسوله تجمعهم .

اليهود . كان المنافقون يوالونهم ويبلغونهم أسرار المسلمين ﴿ مَّا هُم مِّنكُمْ ﴾ يا معشر المسلمين ﴿ وَلَا مِنْهُمْ ﴾ من اليهود، هذا وصف المنافقين، كما وصفهم في آية أخرى ﴿ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾(النساء:١٤٣) ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ ﴾ حيث يحلفون أنهم مسلمون ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(المجادلة:١٤) أنهم كاذبون في دعوى الإسلام ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(المجادلة: ١٥) وهذه مناسبة ظاهرة .

مناسبة أخرى: وجه الله تعالى الخطاب في السورة السابقة، لأهل الكتاب، يأمرهم الإيمان بالنبي ﷺ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بموسى وعيسى ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ ﴾ محمد ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ لإيمانكم به وبنبيكم، وتصديقكم بكتابه وبكتابكم ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ يوم القيامة، كما جعله من المؤمنين من هذه الأمة، كما مر في الآية الثانية عشرة ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(الحديد:٢٨) فذكر هنا ما كان يقصد إليه اليهود من إيذاء النبي والمؤمنين . وهو ضد ما أمروا به من الإيمان به ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ الذي أمرناهم بالإيمان به ﴿ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ حيث يقولون السلام عليك، والسام الموت . ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ له إن كان نبيا ثم توعدهم بقوله ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(المجادلة:٩) تشير الآية إلى أن إيمانهم غير متوقع، لأنهم أعرق في الكفر، وأشد في الحقد، وأكثر سعيا في الإيذاء، وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم .

تنبيه: ذكر في فاتحة السورة وعيد اليهود ومن يمالئهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(المجادلة:٥) وذكر في خاتمتها وعيدهم أيضا ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ۝ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة:٢٠-٢١) ، فتناسب المطلع والمقطع .

******

٥٩- سورة الحشر

ذكر الله تعالى في السوره السابقة موالاة المنافقين لليهود ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(المجادلة: ١٤) فذكر هنا أنه سلط رسوله والمؤمنين على اليهود فأجلوهم، وإن موالاة المنافقين لهم لم تنفعهم ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ هم اليهود بني نضير ﴿ مِن دِيَـٰرِهِمْ ﴾ بالمدينة إلى أريحا وأذرعات بالشام ﴿ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ عند أول حشرهم إلى الشام، وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام أيضا ﴿ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ (الحشر: ٢) . ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(الحشر: ١١-١٢) . وهي مناسبة ظاهرة، والله أعلم .

تنبيه: فتحت السورة بقوله تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الحشر: ١) وختمت بقوله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(الحشر: ٢٤) فتناسب المطلع والمقطع .

******

٦٠- سورة الممتحنة

لما ذكر الله تعالى في السورة السابقة خذلان اليهود والمنافقين، وكان للمؤمنين فيهم قرابة وصداقة ومعاملة، يوادونهم لأجلها، ويصانعونهم لمراعاتها، وربما أدت الموادة والمصانعة إلى إفشاء بعض أسرار المؤمنين . نهى في هذه السورة عن موالاة الكفار عموما، لأنهم أعداءه وأعداء المؤمنين ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾(الممتحنة: ١) ﴿ لَن تَنفَعَكُمْ

أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ (الممتحنة:٣) فهذه مناسبة واضحة، والله تعالى أعلم .

تنبيه: فتحت السورة بالنهي عن موالاة الكفار كما آمر آنفا، وختمت بالنهي عن موالاتهم أيضا ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾(الممتحنة:١٣) فتناسب المطلع والمقطع .

******

٦١- سورة الصف

ختم الله تعالى السورة السابقة، كما بدأها بالنهي عن موالاة الكفار، وهو من المحسنات البديعية، يسميه أهل البلاغة: "رد العجز على الصدر" فتناسب أن يحض هنا على قتالهم لنصرة دينه، وإعلاء كلمته . ويعاتب المؤمنين على تباطئهم عن القيام بهذا العمل الجليل الذي أخبر أنه تجارة رابحة عند الله تعالى، تنجي من عذابه، وتورث مغفرته ورضوانه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾(٢-٤). ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾(الصف:١٠-١٢) .

تنبيه: ذكر في فاتحة السورة حديث موسى لقومه ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾(الصف:٥) وختمت بحديث عيسى لقومه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(الصف:١٤) فتناسب مطلعها ومقطعها . لأن موسى وعيسى رسولان إلى بني إسرائيل، وثانيهما تابع لشريعة أولهما .

******

٦٢- سورة الجمعة

ذكـــر الله تعـــالى في السورة السابقة رسالة موسى وعيسى عليهما السلام إلى بني إسرائيل . فناسب أن يذكر في هذه السورة رسالة النبي ﷺ إلى العرب والأميون . وبذلك ضمت السورتان ذكر الرسالات الثلاث التي هي كبرى الرسالات بالعالم .

وأيضا فإن الله تعالى حكى في السورة السابقة عن عيسى أنه بشر بالنبي ﷺ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(الصف:٦) فذم هنا بني إسرائيل الذين حرفوا صفة النبي عليه الصلاة والسلام وجحودها ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾(الجمعـــة:٥) . وهذا ذم بليغ لهم حيث لم يـــنفذوا تلك البشارة . وإنما أقتصر على ذم اليهود، لأنهم أسبق إلى التحريف، والنصارى مقلدون لهم فيه ولأن التوراة كانت مكتوبة، بخلاف الإنجيل فإنه لم يكتب .

تنبيهات:

الأول: أخبر كل من موسى وعيسى بأنه رسول الله إلى قومه، أما نبينا، فإن الله تعالى تولى الإخبار عنه بذلك ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة:٢) وفي هذا تشريف كبير له .

الـــثاني: لم يقتصـــر الله تعالى على الإخبار بإرساله النبي إلى الأميين، ولكن جعل رسالته عامة إلى غيرهم أيضا حيث قال ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾(الجمعة:٣) .

الثالـــث: فتحت السورة بالحديث عن النبي ﷺ كما مر، وختمت بالحديث إليه ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾(الجمعة:١١) الآية، فتناسب المطلع والمقطع .

******

٦٣- سورة المنافقون

مناســـبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة رسالة النبي عليه الصلاة والســـلام إلى العرب وغيرهم، وذم اليهود الذين جحدوا رسالته، وحرفوا صفته، فكشف هنا كذب المنافقين الذين يداخلون المؤمنين، ويدعون الإيمان، وهم يبطنون الكفر الصريح ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾(المنافقون:١) . وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم .

تنبـــيه: فتحـــت السورة بكشف كذب المنافقين في دعوى الإيمان، وهو مما تكنه للقلوب، لا يعلمه إلا الله تعالى . وختمت بقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (المـــنافقون:١١) لإفادة أن علمه محيط بجميع الأعمال ظاهرها وخفيها . وأنه كما علم كذب المنافقين، يعلم من أخلص في عمله من المؤمنين، ومن أشبه منهم المنافقين بعدم إخلاصه في عمله، فتناسب فيها المطلع والمقطع .

******

٦٤- سورة التغابن

حذر الله تعالى في السورة السابقة من المنافقين، بعد أن أخبر بعداوتهم للمؤمنين ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾(المنافقون:٤) فأخبر هنا أن بعض أزواج المؤمنين وبعض أولادهم أعداء لهم، يثبطونهم عن فعل الخير، كما يثبطهم المنافقون، وحذر منهم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ ﴾(التغابن:١٤) . فالمناسبة بين السورتين هي تحذير من عدوين متداخلين، قد تخفى عداوتهما، أو يتساهل في الاحتراس منهما، فيعظم الضرر، وتقع الكارثة بالمؤمنين من حيث لا يشعرون، والله تعالى أعلم .

تنبـــيه: فتحت السورة بالثناء على الله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾(التغابن:١) ، وختمت به

﴿ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾(التغابن:١٧-١٨)
فتناسب فيها المطلع و المقطع .

******

٦٥- سورة الطلاق

قـــال الله تعالى في السورة السابقة ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ[١] خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾(التغابن:١٦) . فكان الأمر بالتقوى والسمع والطاعة تمهيدا لـــتلقي مـــا بين هنا من أحكام الطلاق والعدة والنفقة والإرضاع، ولأهمية هذه الأحكام، سميـــت حـــدود الله وتخللها الأمر بالتقوى عدة مرات، بصريحة تارة، وبالترغيب المفيد له أخـــرى، مع الإخبار بأن من تعدى حدود الله وتجاوزها، فقد ظلم نفسه . وتلك مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم .

******

٦٦- سورة التحريم

ذكر الله تعالى في السورة السابقة أحكام الطلاق وما يتبعه، فذكر هنا حكم تحريم الرجل وسريته على نفسه، وكان النبي ﷺ حرم مارية، إرضاء لزوجته حفصة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ ﴾(التحريم:١-٢) وهي مناسبة ظاهرة . والله تعالى أعلم .

مناســـبة أخرى: فتحت السورة السابقة بقوله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾(الطلاق:١) وفتحت هذه بالآية السابقة وهي مناسبة بين فاتحتيهما .

******

---

(١) الأمر هنا بالإنفاق المطلق تمهيد للأمر بإنفاق الرجل على أهله في قوله تعالى ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِن سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾(الطلاق:٧) وهذه مناسبة أخرى، تضم إلى ما في الأصل .

٦٧- سورة الملك

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى بين في السورة السابقة أن القرابة من الرسول لا تغني القريب، ولا تمنعه من دخول النار إذا استوجبها بكفره ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾(التحريم:١٠) . فبين هنا الكفر الذي وجب دخول النار، وهو تكذيب الرسول، ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ ﴾(الملك:٦-٩) ويؤخذ منها أن خيانة امرأة نوح وامرأة لوط هي تكذيبهما لزوجيهما، لا شيء آخر . وقد بنيت ذلك بدلائله في "خواطر دينية" .

مناسبة أخرى: ختمت السورة السابقة بقوله تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝ ﴾(التحريم:١٢) وفتحت هذه السورة السابقة بالثناء على الله تعالى بإثبات كماله، وعموم قدرته . رداً لما يدعيه النصارى في مريم من تجسد الله بها، وبيانا لأن حملها بنفخ جبريل في فرجها، أثر من آثار قدرته ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾(الملك:١) فعبارة ﴿ بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ تفيد استحالة اتصال الله ببعض مملوكاته بتجسد أو حلول أو اتحاد . وصفة ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾(الملك:٢) تؤكد تلك الاستحالة، لأنه إذا كان خالق الموت والحياة اللذين لا يخلو منهما مخلوق ؛فكيف يتصل بمن هو عرضة للموت في كل لحظة ؟ هذا مما ترده العقول وتأباه . وهذه مناسبة واضحة ، والحمد لله .

تنبيه: اخرج الحاكم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله: ﷺ {وددت أنها في قلب كل مؤمن} يعني ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ . وفي السنن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : قال {إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر

له وهي ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ . حسنه الترمزي، وصححه ابن حبان والحاكم . وفي متن النسائي عن ابن مسعود مرفوعا {من قرأ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ كل ليلة منعه الله ﷻ بها من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام، نسميها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة، من قرأ بها في كل ليلة فقد أكثر وأطاب} .

وروى الترمزي والبيهقي بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: (ضرب بعض أصحاب النبي ﷺ خباءه على قبر، وهو لا يحسب أنه قبر . فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها . فقال النبي ﷺ: {هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر} ولهذا يقرأها أهل المغرب على الموتى، كما يقرءون سورة يس .

******

٦٨- سورة القلم(١)

أشار الله تعالى في السورة السابقة إلى اتهام الكفار للنبي ﷺ بالضلال ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾(الملك:٢٩) ومن الضلال الجنون الذي رموه به ﷺ ، لأن المجنون ضال في جنونه لا يهتدي لوجه الصواب . فنفى هنا ما رموه به نفياً صريحا قاطعاً ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ ﴾(القلم:١-٧) وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم .

مناسبة أخرى: وجه الله تعالى خطابا إلى الكفار في السورة السابقة إن هو حبس رزقه عنهم-بحبس المطر-فمن يرزقهم غيره؟ ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ ﴾ (الملك:٢١) فأخبر في هذه السورة: أنه امتحنهم من قبلهم ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ

---

(١) نزلت هذه السورة بعد سورة العلق، فهي ثاني سورة نزلت من القرآن . وكان اتجاه المشركين إذ ذاك، إلى رمي النبي ﷺ بالجنون، لأنهم اعتبروا ما بدئ به من الوحي جنونا طرأ على عقله . فلهذا جاءت فاتحتها مصرحة بنفي الجنون عنه ﷺ، و لم يأت حديث عن القرآن، لأنه لم يكن نزل منه، ما يدعو إلى الحديث عنه . فهذه-والله أعلم-حكمة عدم ذكر ما يتعلق بالقرآن، بعد حرف(ن) . على أنه ذكر القلم والكتابة-لأن معنى يسطرون . يكتبون-إشارة إلى القرآن الذي سيترل ويكتب

ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾(القلم:١٧-٢٠) .

تنبيه: فتحت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ وختمت بقوله سبحانه ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾(القلم:٥٢) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٦٩–سورة الحاقة

توعد الله تعالى في السورة السابقة المكذبين بالقرآن ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (القلم:٤٤-٤٥) فختم السورة برد دعاويهم في القرآن، وبيان أنه من عنده ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الحاقة:٣٨-٤٣) . إلى آخر السورة . وهذه مناسبة واضحة، والله تعالى أعلم .

******

٧٠– سورة المعارج

ختمت السورة السابقة برد دعاوى المكذبين بالقرآن فافتتحت هذه بالإخبار عن العذاب الواقع بهم ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾(المعارج:١-٤) ومعنى سأل سائل: دعا داع . لأن السبب -كما قال ابن عباس-: أن النضر بن الحارث قال: اللهم إن كانت في هـذا القرآن الذي يقرأه محمد ﴿ **هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾(الأنفال:٣٢) . وهذه مناسبة واضحة، والله تعالى أعلم .

مناسبة أخرى: فتحت السورة السابقة بذكر القيامة وتهويل شأنها ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾(الحاقة:١-٣) فذكر هنا مقدار يومها ووصف ما

يحصل فيه، ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ ﴾(المعارج:٤-٩) .

تنبيهـــــــان :

الأول: قولـه تعالى ﴿ فِي يَوْمٍ ﴾ متعلق بقولَه ﴿ وَاقِعٍ ﴾ والتقدير سأل سائل بعذاب واقع للكافرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة[١]، وهو يوم القيامة كما مر . وهـــذا الـــتقدير هو الصحيح، لما رواه أحمد وغيره[٢] عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرســـول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم! قال: {والذي نفســي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا} وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: {ما من صاحب ذهـــب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت لَه صفائح من نار فـــأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت لَه في يوم كـــان مقـــداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار} الحديث[٣] .

وأما تقديره متعلقا بتعرج-ويكون التقدير: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقـــداره خمسين ألف سنة-فليس بصحيح . لأن عروج الملائكة والروح والأعمال يكون في يـــوم مقداره ألف سنة، قال تعالى ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ

---

(١) متوقف على تضمينه (إليه) لازم .

(٢) كـــأبي يعلى من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، صححه ابن حبان، وهو والترمزي والحاكم يصححون رواية هذه الطريق .

(٣) تتمته {قيل: يا رسول الله فالإبل؟قال"ولا من صاحب إبل لا يؤدي منها حقها-ومن حقها حلبها يوم ورودها-إلا إذا كان يـــوم القـــيامة بطح لها بقاع قرقر، أوفر ما كانت، لا يفقد منها فصيلاً واحدا، تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها . كلما مر عليه أولادها، عاد عليها أخراها . في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد فـــيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار"قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟قال"ولا من صاحب بقر ولا غنم، لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة، بطح لها بقاع قرقر، أوفرها كانت، لا يفقد منها شيئا، ليس فيها عقصاء ولا جـــلحاء ولا عضـــباء تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مر عليه أولادها، رد عليه أخراها . في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد . فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار} .

فـــي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾(السجدة:٥) وعروج الأمر الشامل للأعمال وللـــروح وغيرهما كناية عن عروج الملائكة المكلفين بذلك . أما قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾(الحج:٤٧) فالمراد به يوم من أيام عذاب الكفار في النار . وذلك لأنهم استعجلوا العذاب الذي توعدوا به، فقال تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلـــف الله وعده بتعذيبهم ﴿ وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ حين يعذبون في النار ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ في شدته وطوله . وهذا كما قال في أهل الجنة ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِـــيّاً ﴾(مـريم:٦٢) ومـــا قررناه في هذه الآيات الثلاث هو المؤيد بالدليل من الكتاب والسنة، فاعتمده ولا تلتفت لما يروي من خلافه عن ابن عباس، فانه ليس بصحيح عنه .

الثاني: فتحت السورة بذكر يوم القيامة ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾(المعارج:٤) . وختمت به أيضا ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ ﴾(المعارج:٤٢-٤٤) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٧١–سورة نوح عليه السلام

مناســـبتها لما قبلها: أن الله تعالى قال في السورة السابقة حال الكفار مع النبي ﷺ، واستهزاءهم بالمؤمنين، وأمر نبيه بأن يتركهم في خوضهم ولعبهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب . فذكر في هذه السورة ما لاقى قوم نوح من الهلاك والعذاب بعده، حين كذبوا رسولهم ﴿ مِمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ۝ ﴾(نـوح:٢٥) فمـــا حـــل بهؤلاء من العذاب، سيحل بأولئك . وهذه مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم .

******

٧٢- سورة الجن

مناســـبتها لمــا قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة ما أبداه نوح لقومه من الأدلـــة المتعددة على توحيد الله، وقرب مغفرته . ومع ذلك أصروا على الشرك، وتواصوا به فيما بينهم ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾(نوح:٢٣) فذكر في هذه السورة أن الجن حين سمعوا القرآن، آمنوا به، وأقلعوا عن الشرك ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾(الجن:١-٣) . وهذا تعريض بأن الجن أحسن حالاً من كفار الإنس وأســـد رأيـــا وأبعـــد عن الجدل منهم، وأبعد بقبول الحق، وأكد هذا التعريض بذكر حرصهم على استماع القرآن من النبي ﷺ ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾(الجن:١٩) .

تنبيه: فتحت السورة بذكر الوحي كما مر، وختمت به أيضا ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾(الجن:٢٦-٢٧) حفظه من الملائكة يحفظونه من الشياطين ﴿ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ التي أوحاها إليهم لتبليغها ﴿ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴾(الجن:٢٨) فتناسب المطلع والمقطع .

******

٧٣- سورة المزمل

تقدم في السورة السابقة مدح القرآن، وتسميته هدى ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾(الجن:١٣) فأمر النبي ﷺ في هذه السورة بالقيام به وترتيله، وبالاستعداد لما سيترل عليه منه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾(المزمل:١-٥) مهيباً . وتلك مناسبة ظاهرة .

مناسبة أخرى: هي الإشارة التي تعدد حكمه وفوائده، فذكر من حكمه هناك الرشد والهداية، وذكر هنا فيها القيام به وتلاوته على وجه التثبت والتأني، والله تعالى أعلم .

تنبيه: فتحت السورة بالكلام على قيام الليل وقراءة القرآن كما مر . وختمت به ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ ﴾(المزمل:٢٠) . وهذا تناسب بين مطلعها ومقطعها .

******

٧٤- سورة المدثر

هذه السورة نزلت بعد سابقتها . جاء النبي ﷺ حين أنزل عليه ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق:١) وبوادره ترجف من شدة الوحي وفجأته، فقال لخديجة ﷺ {زملوني زملوني} فزملته . فنزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾(المزمل:١) ثم فتر الوحي مدة، ثم فاجأه مرة أخرى . فرجع يرتجف، وقال لأهله {دثروني دثروني} فدثروه . فنزل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾(المدثر:١) فتناسب السورتان في أن كل واحد منهما سجلت حالته عليه الصلاة والسلام .

مناسبة ثانية: أمر في السورة السابقة بقيام الليل، استعداداً لما يلقي إليه، وترقبا لما يفاض عليه، فألقي إليه في هذه السورة الأمر بالإنذار وما معه ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾(المدثر:٢-٥) وأفيض عليه وصف الرسالة، بعد أن كان نبيا . ومن هنا قال بعض الصوفية في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ إنه تزمل بالنبوة، وفي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ إنه تدثر بالرسالة . وهي إشارة لطيفة .

مناسبة ثالثة: أمر في السورة السابقة بترتيل القرآن لتدبره واستخراج جواهره ولآلئه . فذكر هنا وعيد المكذب به ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾(المدثر:١٨-٢٨) .

مناسبة رابعة: توعد الله المكذبين هول يوم القيامة ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾(المزمل:١٧-١٨) فذكر هنا ما يحصل لهم من العذاب في ذلك اليوم، واعترافهم بكفرهم ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾(المدثر:٣٨-٤٨) .

******

٧٥- سورة القيامة

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة اعتراف الكفار وهم في سقر بأن من أسباب دخولهم لها تكذيبهم بيوم الدين وهو يوم القيامة . فافتتح هذه السورة بالقسم به ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ (القيامة:١-٢) ثم ذكر قدرته على البعث والدليل عليها ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾(القيامة:٣-٤) ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (القيامة:٣٦-٤٠)

تنبيهـــــــات :

الأول: أخـــبرني المرحوم متولي العوضي أن مستشرقا إنجليزيا عنده إنصاف_على نـــدرة المنصــــف في المستشرقين _كان يكلمه على ما في القرآن من إشارات إلى حقائق علمـــية، فذكر له على سبيل المثال أن الغربيين اكتشفوا البصمة من البحث في آية ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾(القيامة:٤) أصابعه .

حيـــث لفـــت نظـــرهم تخصيص الأصابع بالذكر في الاستدلال على إحياء الموتى للبعث، فبحثوا حتى إلى أن الخطوط والتعاريج التي في الأصابع لا تتشابه رغم كثرة الناس.

وأنه إذا استعرضت الأصابع ألف ألف شخص، فقد يوجد تشابه بين شخصين منهم، وإذا أحرق جلد الإصبع يعود بعد التئامه خطوطه وتعاريجه كما كانت . وبهذا صارت البصمة تدل على صاحبها دلالة قاطعة، فسبحان الخلاق العليم .

الثاني: قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾(القيامة:١٦-١٩) .

ثبت في الصحيحين عن ابن عباس ـ في سبب نزول الآيات الأربع ـ أن النبي ﷺ كان يقرأ مع جبريل عليه السلام القرآن حين يترل عليه به، مخافة النسيان . وقد اختلف العلماء في توجيه المناسبة بين هذه الآيات، وبقية آيات السورة التي تتكلم عن البعث وما بعده .

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾ إلى آخره بذكر القيامة؟ قلت: اتصاله به من جهة هذا التخلص إلى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة [1] .

وقيل: لما نزل أول السورة إلى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾(القيامة:١٥) صادف أنه ﷺ في تلك الحالة، بادر إلى حفظ ما نزل عليه، فقيل له ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴾[2] ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به . قال الفخر الرازي: ونحوه مالوا ألقى المدرس على الطالب مثلا مسألة، فتشاغل الطالب بشيء عرض له . فقال له: ألق بالك وتفهم ما أقول، ثم كمل المسألة . فمن يعرف السبب يقول: ليس هذا الكلام مناسبا للمسألة، بخلاف من عرف ذلك .

وقيل: لما تقدم ذكر النفس في أول سورة؟ عدل إلى ذكر نفس النبي ﷺ، كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال من التأني والتثبت . وقيل غير ذلك .

---

(١) لكن أين المناسبة بينها وبين ما قبلها . فالظاهر أنها من الاقتضاب . بل ذكر أبو العلاء محمد بن غانم: أن القرآن لم يقع شيء من التخلص، لما فيه من التكلف . وقال: أن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم . وغلط في ذلك . بل القرآن فيه تخلص لا تكلف فيه، ومنه ما مر بيانه في سورة المجادلة . والتخلص طريقة العرب أيضا، إلا أن الغالب في استعمال العرب الأولين، ومن يليهم من المخضرمين، طريقة الاقتضاب

(٢) ويؤيده ما صح في سبب نزولها .

الثالث: فتحت السورة بذكر القدرة على البعث ﴿ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾(القيامة:٤) وختمت به ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة:٤٠) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٧٦- سورة الإنسان

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة أن الناس ينقسمون في الآخرة قسمين ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾(القيامة:٢-٢٥) فذكر هنا ثواب أهل النضرة بتفصيل ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾(الإنسان:٥-٦) .

وأيضا تتفق هذه السورة مع تلك في الكلام على البعث وما يليه، والله تعالى أعلم .

تنبيه: ذكر في فاتحة السورة وعيد الكفار ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَا۟ وَأَغْلَـٰلًا وَسَعِيرًا ﴾(الإنسان:٤) وختمت به ﴿ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾ (الإنسان:٣١) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٧٧- سورة المرسلات

هــذه الســـورة تناسب سابقتها أيضا في الكلام على البعث وما بعده من نعيم أو عذاب، والله تعالى أعلم .

تنبيه: قال أبو بكر بن العربي: نزلت سورة المرسلات في الغار تحت الأرض كما في الصـــحيح عن ابن مسعود . قلت: وأخرج الإسماعيلي في صحيحه- وهو مستخرجه عن الـــبخاري-عـــن ابن مسعود أيضا قال: نزلت سورة المرسلات ليلة عرفة بغار منى . وفي المســـتدرك عنه أيضا قال: كنا مع النبي ﷺ في غار، فنزلت عليه والمرسلات . فأخذها من فيه وإن فاه رطب بها .

قلت: هذه السورة نزلت جملة واحدة .

٧٨- سورة النبأ

هـــي كســـابقتها تتعلق بالبعث وما بعده، وهكذا أغلب السور المكية، تتعلق بهذا الموضـــوع . لأنها نزلت في قوم ينكرونه . فزاد الله تعالى عليهم بعدة سور، نوع لهم فيها الأدلة، وعدد الأساليب، وأوضح الحجة، وسد عليهم باب الإنكار، وأبطل شبههم فيه . بحيـــث لم يبق لهم من حجة على إنكار اليوم الآخر وما فيه، إلا العناد المجرد . وهو أقبح الكفر، وصاحبه لا يرجى له علاج، والله تعالى أعلم .

******

٧٩- سورة النازعات

هي أيضا تناسب سابقتها في الموضوع لما قدمنا، والله تعالى أعلم .

تنبيه: فتحت السورة بالحديث عن يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝ ﴾(النازعات:٦-٧) . وختمت به ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝ ﴾(النازعات:٤٢-٤٦) فتناسب مطلعها ومقطعها

******

٨٠- سورة عبس

تناسب سابقتها في موضوع البعث وما بعده أيضا .

******

٨١- سورة التكوير

تناسب سابقتها في الموضوع نفسه، والله أعلم .

******

٨٢- سورة الانفطار

تتناســـب مـــع سابقتها في وصف يوم القيامة وصفا تنخلع له النفوس . وتلاحقها

صـــوره ومشاهده في صورة إنذار بالغ . قال النبي ﷺ: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فيقرأ ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ ﴾(التكوير:١) و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ ﴾(الانفطار:١) و ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ ﴾(الانشقاق:١) " . رواه الترمذي من حديث ابن عمر بإسناد جيد .

تنبـــيه: فتحـــت الســـورة بوصف يوم القيامة ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ ﴾(الانفطار:١-٥) وختمت به ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝ ﴾ (الانفطار:١٧-١٩) فتناسب مطلعها ومقطعها .

٨٣- سورة المطففين

تناســـب سابقتيها في الموضوع، لأنها توعد المطففين بالويل في يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وتصف حالتي الفجار والأبرار، في ذلك اليوم .

******

٨٤- سورة الانشقاق

تصـــف يـــوم القـــيامة كأنه رأي العين، كما مر في الحديث فهي تناسب سابقتها مناسبة موضوعية .

تنبـــيه: أفـــادت هذه السورة أن الكافر يعطى كتابه يوم القيامة وراء ظهره، وهي فـــائدة زائدة على ما أفاده غيرها من السور، من إعطائه بشماله . وعلى هذا فالكافر في الآخرة يعطى كتابه بشماله، من وراء ظهره، والله تعالى أعلم .

******

٨٥- سورة البروج

تناسب سابقتها في ذكر يوم القيامة ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝ ﴾(البروج:١-٢) يوم القيامة .

وفي ذكر عذاب الكفار ونعيم المؤمنين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝ ﴾(البروج:١٠-١١) .

******

٨٦- سورة الطارق

تناسب سابقتها في ذكر يوم البعث ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ ﴾(الطارق:٨-١٠) وفي وصف القرآن . هناك ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝ ﴾(البروج:٢١-٢٢) . وهنا ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝ ﴾(الطارق:١٣-١٤) .

******

٨٧- سورة الأعلى

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى رد على المشركين في السورة السابقة قولهم: لا يرجع الإنسان بعد موته ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝ ﴾(الطارق:٨-٩) وقولهم في القرآن: سحر وكهانة ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝ ﴾(الطارق:١١-١٤) وقول الكفار المذكور يلزم منه نسبة النقص إلى الله تعالى بتكذيبه في البعث، ووصف كلامه بالكهانة والسحر . فافتتح هذه السورة بالأمر بتسبيحه أي تنزيهه ﷻ عن كل نقص، مثبتا علوه وقدرته التامة، وحكمته في أفعاله ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ ﴾(الأعلى:١-٢) .

وأيضا فقد قال في السورة السابقة-يأمر الإنسان بالنظر في أصل خلقه- ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝ ﴾ (الطارق:٥-٧) .

فأشار هنا بصفتي ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ ﴾(الأعلى:٢-٣) إلى أن الله تعالى خلق من الماء الدافق خلقاً سوياً، وقدر لم ما يصلحه، فهداه إليه، وعرفه

وجـــه الانتفاع به . وحذف مفعول خلق لإرادة التعميم في الإنسان والحيوان، ومن أراد أن يعرف ما تشير إليه هذه الآية من حقائق وأسرار، فليقرأ علم الحيوان وعلم الأحياء[1] .

******

٨٨- سورة الغاشية

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى أخبر في السورة السابقة أن الناس يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۝ ﴾(الأعلى:١٦-١٧) .

فـــأراد في هذه السورة أن يستنهض هممهم إلى طلب الآخرة، ويحذرهم هول يوم القيامة ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝ ﴾(الغاشية:١) .

تنبيه: فتحت السورة بيوم القيامة كما مر . وختمت به ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾(الغاشية:٢٥-٢٦) فتناسب مطلعها ومقطعها .

******

٨٩- سورة الفجر

مناســـبتها لمـــا قبـــلها: أن الله تعـــالى أمر نبيه في السورة السابقة بتذكير الكفار، وأوعدهم العذاب ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝ إلا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ۝ ﴾(الغاشية:٢١-٢٤) فذكر هنا أنه أهلك كفـــارا كانوا أشد من كفار مكة وأقوى منهم ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝ ﴾(الفجـــر:٦-١٤) فما أصاب هؤلاء من الهلاك والعذاب ، ليس ببعيد من أولئك، والله تعالى أعلم .

******

---

(١) عـــلم الأحـــياء يبحـــث عن الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات من حيث نموها وبناؤها وتغذيتها وتنفسها ونشاطها وحركاتها وتكاثرها وتوالدها .

٩٠- سورة البلد

ذكــر الله تعــالى في السورة السابقة اهتمام الإنسان بالدنيا، وحبه للمال، وإهماله للطاعة، ولما يفيده في الآخرة ﴿ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝ كَلَّا ﴾ ردع للإنســان عن هذا القول . ثم وجه الخطاب للكفار الذين كانوا يرون بسط الرزق إكــراما وتقتيره إهانة ﴿ بَل ﴾ حين يكرمكم الله بالمال ﴿ لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ۝ ﴾(الفجر:١٥-٢٠) فأعاد الكلام هنا على الإنسان، وأخبر أنه خلق في مكابد المشاق والشدائد، وأنه يتباهى بكثرة ما أنفقه في شهواته ولم ينفقه في طاعة الله ورضاه ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝ ﴾(البلد:٤-١٦) فسجلت السورتان على الإنسان المتحدث حبه للدنيا وتركه للآخرة، وبينــت هــذه السورة أن الإنسان المتحدث عنه فيهما هو الكافر ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(البلد:١٧) ، وهذه مناسبة واضحة .

******

٩١- سورة الشمس

مناســبتها لمــا قبلها: أن الله تعالى بين في السورة السابقة أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة، فذكر هنا أصحاب الميمنة بوصف الفلاح، وأصحاب المشأمة بوصف الخيبة ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾(الشمس:٩-١٠) فيستفاد مما هناك مع ما هنا أن أصحاب الميمنة مفلحون أي فائزون . لدخولهم الجنة . وأصحاب المشأمة خائبون أي خاسرون . لدخولهم النار، والله تعالى أعلم .

******

٩٢- سورة الليل

تناسب هذه السورة سابقتها في تقسيم الناس إلى قسمين: مؤمن وهو المفلح-ميسر الجنة، وهي اليسرى، وكافر-وهو الخائب-ميسر للنار، وهي العسرى . ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝) بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝ ﴾ (الليل:١-١٠) .

******

٩٣- سورة الضحى

ذكر الله في السورة السابقة أن المصدق في ملة الإسلام ميسر للجنة، وختمها بذكر ما أعد من ثواب لأول رجل أسلم من هذه الأمة وهو أبو بكر الصديق ﷺ ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝ ﴾(الليل:١٧-٢١) فتناسب أن تكون هذه السورة في فضل النبي الأكرم، والرسول الأعظم، إيذانا بأن شرف التابع هناك، لشرف المتبوع هنا، والله تعالى أعلم .

تنبيه: أول من أسلم على الإطلاق خديجة ﷺ، وتلاها علي ﷺ، لأنه كان يتربى في بيت النبي عليه الصلاة والسلام . وكان عمره يوم أسلم ثمان سنين تقريباً، و لم يسجد لصنم قط، ولذا قيل عنه: كرم الله وجه .

******

٩٤- سورة الشرح

نفى الله تعالى في السورة السابقة، ترك نبيه وقلاءه، رداً لدعوى بعض المشركين ذلك . وامتن عليه ببعض نعم أنعم عليه بها قبل النبوة ثم قال له ﴿ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝ ﴾(الضحى:١١) فذكر هنا نعما منحه إياها في بدء النبوة وبعدها، وهي شرح

صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وتيسير العسر له، فالسورتان متناسبتان في الموضوع، متقاسمتان بيان فضل النبي عليه الصلاة والسلام .

موازنـــة: بين نبينا وبين موسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام . وموسى طلب من الله أن يشرح صدره، وييسر أمره ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ۝ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ۝ ﴾ (طه:٢٥-٢٦) .

وإبراهـــيم طلـــب أن يجعل له ذكرا في الآخرين، أي في هذه الأمة ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ ﴾(الشعراء:٨٤) .

ونبينا أعطاه الله ذلك من غير طلب ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ ﴾(الشرح:١-٦) وهذا مما يدل على رفعه نبينا ﷺ .

******

٩٥- سورة التين

امـــتن الله تعالى على نبيه في السورة السابقة بخصال شرفه بها، فتناسب أن يشرف بلده الذي نشأ فيه، فأقسم به تشريفا له ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝ ﴾(التين:١-٣) مكة .

******

٩٦- سورة العلق

مناســـبة هـــذه السورة لما قبلها: أن الله تعالى أنكر في السورة السابقة على الكفار تكذيبهم البعث ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝ ﴾(التين:٧) والخطاب للمكذب بالبعث، والاســـتفهام إنكاري، فصرح هنا بالبعث، وأكد وقوعه ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝ ﴾ (العلق:٨) .

تنبـــيه: قـــال بعض العلماء: سورة ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحـــة من براعة الاستهلال، لكونها أول ما نزل . فإن فيها الأمر بالقراءة، والبداءة فيها

باســـم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام[1]، وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب، وإثبات ذاته، وصفة من صفات ذاته، وصفة فعل . وفي هذه الإشارة إلى أصول الدين . وفيها ما يتعلق بالأخـــبار من قوله ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾(العلق:٥) ولهذا قيل: إنها جديرة أن تسمى عنوان القرآن، لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده، بعبارة وجيزة في أوله .

******

٩٧- سورة القدر

افتتحـــت السورة السابقة بأمر النبي عليه الصلاة والسلام بالقراءة . ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ ﴾(العلـــق:١) فناســـب أن يذكر في هذه السورة إنزال القرآن المأمور بقراءته ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾(القدر:١) .

وقـــال أبـــو جعفر بن الزبير في البرهان: حكى الخطابي أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن، وضعوا سور القدر عبر العلق، استدلوا بذلك على أن المراد بها الكناية في قوله ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ ﴾(القدر:١) الإشارة إلى قوله ﴿ ٱقْرَأْ ﴾ .

قال القاضي أبو بكر بن العربي: وهذا بديع جدا .

******

٩٨- سورة البينة

مناســـبتها لما قبلها: أن الله تعالى أخبر في السورة السابقة بإنزال القرآن، فذكر هنا مـــا كان عليه الفريقان من الكفار: مشركين وكتابيين . كانوا يقولون: لانزال على دنينا حـــتى يأتينا الرسول الموعود في آخر الزمان . يتلو صحفا مطهرة، هي القرآن ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ ﴾(البينة:١-٢) ثم بعد مجيئه وتلاوته للقرآن الذي أنزل عليه، تفرق فـــيه أهل الكتاب -وتبعهم المشركون- فكفر معظمهم حسدا وبغيا، وآمن من سبقت له

(١) لأن معنى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾(العلق:١) : أقرأ مبتدئا باسم ربك: أي قل: بسم الله . وهذا حكم شرعي، يشير إلى أحكـــام تأتي بعده . وقوله ﴿ رَبِّكَ ﴾ إثبات لذات الله واتصافه بالربوبية، وهو إشارة إلى التوحيد . و ﴿ الْأَكْرَمُ ﴾ (العلق:٣) . صفة ذاتية، و ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾(العلق:١) : صفة فعل، وذلك إشارة إلى أصول الدين .

السعادة ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾(البينة:٤) وهذه مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم .

******

٩٩- سورة الزلزلة

ذكر في السورة السابقة جزاء الكفار والمؤمنين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾(البينة:٦-٧) .

فناسب أن يذكر هنا يوم القيامة، وما يسبقه من شدة . لأن بعده يصير المؤمنون إلى الجنة، والكفار إلى النار ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾(الزلزلة:١) الآيات إلى آخر السورة .

تنبيه: ورد في حديث ضعفه الترمذي عن ابن عباس مرفوعا {إذا زلزلت تعدل نصف القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن} .

وجاء في حديث آخر حسنه الترمذي وفيه كلام: أنها- يعني إذا زلزلت-تعدل ربع القرآن .

قال ناصر الدين بن الميلق المالكي الشاذلي في توجيه الحديثين: أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا، وأحكام الآخرة، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالا، وزادت على القارعة بإخراج الأثقال، وتحديث الأخبار . وأما تسميتها في الحديث الآخر ربما، فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذي {لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع- يشهد أن لا إله إلا الله . وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر} . فاقتضى هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذي قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دعا إليه القرآن .

******

١٠٠ – سورة العاديات

تناسب سابقتها في ذكر البعث أيضا ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝ ﴾(العاديات:٩-١١) .

******

١٠١ – سورة القارعة

تناسب سابقتها أيضا في ذكر يوم القيامة، مع إفادة تسميته بالقارعة، لأنها تقرع النفوس بأهوالها وشدائدها . والله تعالى أعلم .

******

١٠٢ – سورة التكاثر

مناسبتها لما قبلها: أنه تعالى ذكر فيما مر أهوال يوم القيامة، فذم هنا اللاهين عنها . قال الصاوي في حاشية تفسير الجلالين .

تنبيه: روى الحاكم بإسناد فيه مجهول عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ {ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم؟} قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال {أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر؟} .

قال الناصر بن الميلق: إن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وكسر، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن، وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن . فإنها –فيما ذكره الغزالي– ستة: ثلاث مهمة، وثلاث متمة –وتقدمت في سورة الفاتحة– وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة، والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس .

******

١٠٣- سورة العصر

مناســبتها لما قبلها: أنه تعالى ذم في تلك، اللاهين عن يوم القيامة بالمال والمعاصي واتــباع الشهوات فذكر هنا أن اللهو بذلك يعم جنس الإنسان، وسماه خسرا إلا المؤمنين ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾(العصر:١-٣) .

******

١٠٤- سورة الهمزة

مناسبتاه لما قبلها: أنه تعالى لما قال فيما سبق ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ ﴾(العصر:٢) بين هنا حال الخاسرين ومآلهم . قاله الصاوي .

******

١٠٥- سورة الفيل

تناسب سابقتها في: بيان مآل بعض الخاسرين، وهم أصحاب الفيل، خصوا بالذكر . لاجترائهم على حرم الله تعالى .

******

١٠٦- سورة قريش

إن قلــنا: إن ﴿ لِإِيلَـٰفِ ﴾(قريش:١) متعلق بآخر السورة السابقة، والمعنى: فجعلهم كعصـــف مـــأكول، ليبقي إيلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف . فالسورتان مرتبطتان . وقـــد كان يعدهما أبي بن كعب وجعفر الصادق وأبو نهيك سورة واحدة . وإن قلنا: إنه متعلق بالأمر بعده ﴿ فَلْيَعْبُدُوا ﴾(قريش:٣) فالمناسبة بينهما في قوله ﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝ ﴾(قريش:٤) والمعنى: فليعبدوا الله الذي أمنهم من جيش الفيل . وقد كانوا خائفين منه، والله تعالى أعلم .

******

١٠٧- سورة الماعون

هـــذه الســـورة فـــيها سبع آيات: ثلاث منها نزلت في وصف كفار مكة، ووجه مناســـبتها لمـــا قبـــلها: أن الله تعالى أمتن على قريش بأنه أطعمهم من جوع، وأمنهم من خوف، وأمرهم أن يعبدوه شكراً على ذلك .

فذمهـــم بـــأنهم يكذبـــون بالدين، ويدفعون اليتيم دفعاً عنيفاً، ولا يبذلون الطعام للمسكين الجائع، وهو ضد ما أمرهم الله، بل ضد ما يقتضيه شكر نعمة الإطعام والأمن . أمـــا الأربع الباقية فإنها نزلت في المنافقين الذين يظهرون الصلاة والعبادة رياء وسمعه، وهم في الباطن مثل كفار مكة، يكذبون بالدين، ويتحلون بما لا يصح التحلي به .

******

١٠٨- سورة الكوثر

ذم الله تعـــالى في الســـورة الســـابقة الكفار علي تكذيبهم بالدين، وبخلهم بإطعام المسكين . فأخبر هنا بكرمه الذي أكرم به نبيه، وسلاه بذلك عن تكذيب قومه وإيذائهم، وأمره بالصلاة والنحر، أي لإطعام المساكين، على عكس ما عليه الكفار من البخل وترك عبادة الله تعالى .

وقال بعض العلماء: من لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة التي قبلها: لأن السابقة وصـــف الله فـــيها المنافق بأربع أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، فذكر في مقابلة البخل ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ أي الخير الكثير . وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿ فَصَلِّ ﴾ أي دم عليها . وفي مقابلة الرياء ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ أي لرضاه، لا للناس وفي مقابلة منع الماعون ﴿ وَٱنۡحَرۡ ﴾(الكوثر:١-٢) وأراد به التصدق بلحم الأضاحي .

قلت: فحاله ﷺ يباين حالهم غاية المباينة، ولهذا والله أعلم، أمره في:

******

١٠٩- سورة الكافرون

أن يخبرهم بأن لا صلة بينه وبينهم، لأنه يعبد الله وحده، وهم يعبدون غيره، ودينه التوحيد، ودينهم الشرك .

تنبيـــه: رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما من طريق سلمة بن وردان عن أنس، قال: قـــال رسول الله ﷺلرجل من أصحابه {هل تزوجت؟} قال: لا، والله يا رسول الله، ولا عـــندي مـــا أتزوج به . قال: {أليس معك قل هو الله أحد؟} قال: بلى . قال: {ثلث القرآن . قال: أليس معك إذا جاء نصر الله؟} قال: بلى . قال: {ربع القرآن . قال: أليس معـــك إذا زلزلـــت الأرض؟} قـــال: بلى . قال: {ربع القرآن . تزوج تزوج} . حسنه الترمذي . لكن سلمة ضعيف، قال أبو حاتم: ليس بقوي، عامة ما عنده عن أنس منكر . وقال ابن معين: ليس حديثه بذاك . من هنا تكلم مسلم في هذا الحديث في كتاب التمييز . وسيأتي توجيه كون هذه السورة ربع القرآن بحول الله تعالى .

******

١١٠- سورة النصر

لما أيأس الله نبيه من الكفار والمنافقين، وقطع كل صلة بينه وبينهم فيما يتعلق بعبادة الله وتوحـــيده . بشـــره هـــنا بمجيء نصر الله وفتحه، وبانتشار دينه، ودخول الناس فيه أفواجا، وهذه مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم

******

١١١-سورة تبت

لمـــا بشـــر الله نبـــيه في السورة السابقة بنصره ونشر دينه، ناسب أن يبشره هنا بهلاك عدويـــن عنيدين من أشد أعدائه: طالما قاسى من إذائهما وسبهما . ولهذا أفرد الله هذه السورة لبشارة بهلاكهما وخسرانهما، إكراما لنبيه، وانتقاما له من أعدائه، والله تعالى أعلم .

******

١١٢- سورة الإخلاص

كـــان العرب يجمعون المال، عدة لنوائب الزمان، وحوادث الدهر، ويطلبون البنين لمكاثرة الخصوم، ومحاربة الأعداء . فذكر الله في السورة السابقة، أن أبا لهب حين نزل به الهـــلاك والخسارة، لم ينفعه ماله، ولا ما كسب من أولاد، وقد كان يعتز بهما على عادة قومـــه وعشـــيرته . فنزه الله تعالى نفسه عن مشابهة خلقه، فلا ولد له ولا والد، ولا يماثله أحد، سبحانه وتعالى .

وقال بعض العلماء في المناسبة بين السورتين: التوازن في اللفظ بين آخر السابقة . وأول هذه . أي بين مسد، وأحد . وهذه مناسبة لفظية .

تنبـــيه: ثبت في الصحيحين وغيرهما من طرق: أن النبي ﷺ قال: {قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن}. واختلف في معنى الحديث وتوجيه كونها ثلث القرآن . فقيل: لأن القرآن يشتمل على شرائع، وقصص، وصفات . وهذه السورة كلها صفات، فكانت ثلثا بهذا الاعتبار .

وقـــال الغزالي في الجواهر: معارف القرآن المهمة ثلاث: معرفة التوحيد، والصراط المســـتقيم، والآخـــرة، وهي مشتملة على الأول، فكانت ثلثا . وقال أيضا-فيما نقله عن الرازي-: القرآن يشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته، وصفاته: إمـــا صـــفات الحقيقة، وإما صفات الفعل، وإما صفات الحكم، فهذه ثلاثة أمور . وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة، فهي ثلث .

وقـــال الخويـــني: المطالـــب التي في القرآن، معظمها الأصول الثلاثة التي بها يصح الإسلام، ويحصل الإيمان . وهي معرفة الله، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى . فإن من عرف أن الله واحد، وأن الرسول صادق، وأن الدين واقع، صار مؤمنا حقا . ومن أنكر شيئا منها كفر قطعا، وهذه السورة تفيد الأصل الأول، فهي ثلث القـــرآن مـــن هذا الوجه . وقيل: القرآن قسمان: خبر وإنشاء . والخبر قسمان: خبر عن الخـــالق، وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث، وهذه السورة أخلصت الخبر عن الخالق، فهي بهذا الاعتبار ثلث .

وقـــال ناصـــر الدين بن الميلق-في توجيه الحديث وحديث الكافرون مع أن كلا

مــــنهما يسمى الإخلاص-: إن سورة الإخلاص اشتملت من صفات الله تعالى على ما لم تشتمل عليه الكافرون، وأيضا فلتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه، ونفي إلهية ما سواه، وقد صرحت الإخلاص بالإثبات والتقديس، ولوحت إلى نفي عبادة غيره .

والكافــرون صرحت بالنفي، ولوحت بالإثبات والتقديس . فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين، ما بين الثلث والربع .

وقيل: تعدل ثلث القرآن في الثواب، وهذا هو المشهور عند الناس، لكن ضعفه أبو الوفـــاء بن عقيلي الحنبلي، وقال: لا يجوز أن يكون المعنى: أن من قرأها فله ثلث القرآن، لقولَه ﷺ: {من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات} .

وقـــال ابـــن عبد البر في التمهيد: السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأســـلم . ثم روى بإسناده إلى إسحاق بن منصور، قال: قلت لأحمد بن حنبل: قولَه ﷺ {قـــل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن} ما رجهه؟ فلم يقم لي فيها على أمر . وقال لي إســـحاق بن راهويه: معناه: أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام، جعل لبعضه أيضا فضـــلا في الـــثواب لمن قرأه، تحريضا على تعليمه . لا أن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات، كان كمن قرأ القرآن جميعه . هذا لا يستقيم، ولو قرأها مائتي مرة .

******

١١٣- سورة الفلق

لما بين فيما سبق أنه الصمد : أي المقصود إليه في كل أمر . أرشد هنا إلى الالتجاء إليه، والاستعاذة به من شرور خلقه .

******

١١٤- سورة الناس

تناسب سابقتها في الاستعاذة، وخصت بالاستعاذة من شر الوسواس الخناس، لعظم ضرره، ولجريانه من الإنسان مجرى الدم، كما ثبت في الحديث .

نعوذ بالله من شره، ونسأله العصمة من ضرره .

خاتمة

وفيها مسألتان:

الأولى : في فواتح السور .

ألف فيها ابن أبي الإصبع كتابا سماه "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح" .

قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، هو أن يتأنق في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع . فإن كان محررا، أقبل السامع على الكلام ووعاه . وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن . فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظ وأجزله، وأرقه وأسلسه، وأحسنه نظماً وسبكاً، وأصحه معنى، وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس، أو الذي لا يناسب .

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه، وأبلغها وأكملها . كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك .

وبيان ذلك-على ما جمعه أبو شامة في كتاب" المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز"-: أن الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيء من السور عنها:

الأول: الثناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثبات لصفات الكمال ونفي وتنزيه عن صفات النقص .

فالأول: التحميد في خمس سور: الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر . وتبارك في سورتين: الفرقان والملك .

والثاني: التسبيح في سبع سور، قال الكرماني في متشابه القرآن: التسبيح كلمة استأثر الله بها . فبدأ بالمصدر في بني إسرائيل، لأنه الأصل . ثم بالماضي في الحديد والحشر والصف، لأنه أسبق الزمانين . ثم بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في الأعلى، استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها .

الثاني: حروف الهجى في تسع وعشرين سورة: **البقرة وآل عمران والأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر ومريم وطه والشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة ويس وص وغافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف وقَ ونَ .**

الثالث: النداء في عشر سور: خمس بنداء الرسول: **الأحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر .**

وخمس بنداء الأمة: **النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة .**

الرابع: الجمل الخبرية في ثلاث وعشرين سورة: **الأنفال . التوبة . النحل . الأنبياء . المؤمنون . النور . الزمر . القتال . القمر . الرحمن . المجادلة . الحاقة . المعارج . نوح . القيامة . عبس . البلد . القدر . البينة . القارعة . ألهاكم . الكوثر .**

الخامس: القسم في خمس عشرة: سورة أقسم فيها بالملائكة، وهي: **الصافات**، وسورتان بالأفلاك: **البروج والطارق** . وست سور بلوازمها: **فالنجم** قسم بالثريا، **والفجر** بمبدأ النهار، **والشمس** بآية النهار، **والليل** بشطر الزمان، **والضحى** بشطر النهار، **والعصر** بالشطر الآخر، أو بجملة الزمان . وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر، **والذاريات، والمرسلات** . وسورة بالتربة التي هي منها أيضا وهي **والطور**، وسورة بالنبات، وهي والتين، وسورة بالحيوان الناطق، وهي **والنازعات**، وسورة بالبهيم . وهي **والعاديات** .

السادس: الشرط في سبع سور: **الواقعة . المنافقون . التكوير . الانفطار . الانشقاق . الزلزلة . النصر .**

السابع: الأمر في ست سور: **الجن . العلق . الكافرون . الإخلاص . المعوذتان .**

الثامن: الاستفهام في ست سور: **الإنسان . النبأ . الغاشية . الشرح . الفيل . الماعون .**

التاسع: الدعاء في ثلاث سور: **ويل للمطففين . ويل لكل همزة . تبت .**

العاشر: التعليل في **لإيلاف قريش .**

قـال أبو شامة: وما ذكرناه في قسم الدعاء، يجوز أن يذكر مع الخبر . وكذا الثناء كله خبر، إلا سبح، فإنه بدخل في قسم الأمر . وسبحانه يحتمل الأمر والخبر: ونظم ذلك في بيتين فقال:

أثـنى عـلى نفسـه سبحانه بثبو	ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والأمر والشرط والتعليل والقسم الد	عـا حروف التهجي استفهم الخبرا

الثانية: في خواتم السور

وفي مـثل الفواتـح في الحسن، لأنها آخر ما يقرع السمع[1] ولهذا جاءت متضمنة لـلمعاني البديعية، مع إيذان السامع، بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف إلى مـا يذكر بعده . لأنها بعد أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد، إلى غير ذلك .

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلال، ففصل جملة ذلك بقولَه ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ والمراد: المؤمنون ولذلك أطلق الإنعام و لم يقيده، ليتناول كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان، فقد أنعم عليه بكل نعمة، لأنها مستتبعة لجميع النعم . ثم وصفهم بقولَه ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾(الفاتحة:٧) يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة، وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدي حدوده . وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة، وكالوصايا التي ختمت بها آل عمران ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝ ﴾(آل عمران:٢٠٠) وكالفرائض التي ختمت بها سورة النساء، وحسن الختم بها، لما فيها من أحكام الموت الذي هو آخر أمر كل حي، ولأنها آخر ما نزل من أحكام .

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة، وكالوعد والوعيد الذي ختمت به

(١) قال الخطيب القزويني في الإيضاح: جميع فواتح السور وخواتمها، واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها . يظهر ذلك بالتأمل فيها مع التدبر لما تقدم من الأصول .

الأنعام، وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة، الذي ختمت به الأعراف، وكالحض على الجهاد، وصلة الأرحام التي ختمت به الأنفال . وكوصف الرسول والتهليل اللذين ختمت بهما التوبة . وكتسليته عليه الصلاة والسلام التي ختمت بها سورتا يونس وهود، وكوصف القرآن ومدحه الذي ختمت به سورة يوسف . وكالوعيد والرد على من كذب الرسول اللذين ختمت بهما سورة الرعد . وكالثناء على الله تعالى، الذي ختمت به الإسراء، ومثلها سورتا الحج والحشر، ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ ﴾(إبراهيم:٥٢) . ومثلها خاتمة الأحقاف ﴿ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(الأحقاف:٣٥) وكذا خاتمة الحجر بقوله تعالى ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾(الحجر:٩٩) فسر بالموت، وهذه الخاتمة في غاية البراعة . وخاتمة الشورى مثلها، ﴿ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾(الشورى:٥٣) .

وسورة الزلزلة بدأت بوصف أهوال يوم القيامة، وختمت بقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾(الزلزلة:٧-٨) وهي خاتمة في منتهى البراعة . وكذلك خاتمة سورة النصر . فيها إيذان بالوفاة ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾(النصر:٣) وهي خاتمة بديعة .

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس، قال: كان عمر ﷺ يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا؟ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم . ثم دعاهم ذات يوم، فقال: ما تقولون في قوله تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾(النصر:١)؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم، فلم يقل شيئا . فقال لي، أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا . قال: فما تقول؟ . قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلمه له، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ فقال عمر ﷺ: إني لا أعلم منها إلا ما تقول .

قلت: وهذا كانت ربع القرآن كما جاء في الحديث السابق، أي ربع الإيمان الذي يدعو إلى القرآن، كما مر عن العارف ابن الميلق في سورة الزلزلة .

وهكـــذا كل سورة تجد خاتمتها في غاية الحسن والبراعة، أحسن الله خاتمتنا بالوفاة إلى الإيمان، وفرج كربتنا، وجعلها كفارة لنا عما اقترفناه، وبيض وجهنا، يوم نلقاه .

كـــان الفراغ من تحرير مساء يوم الأربعاء الثالث من شهر ذي القعدة الحرام، ومن شهور سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، أحسن الله خاتمتها، آمين .

******

بسم الله الرحمن الرحيم

تتميـــــــــــــم

علمـــت مما مر في الكتاب ومقدمته: أن آيات القرآن الكريم وسوره، تتسق في تناسب عجيب، وترتبط بعضها مع بعض، في تآلف بديع غريب، بحيث لو وضعت آية مكان غيرها، أو سورة في غير موضعها، احتل الأنساق والتناسب، وتفكك الارتباط والتآلف .

وهذا مما أختص به القرآن العظيم، وكان وجها من وجوه إعجازه المتعددة، فينبغي لتاليه أن يراعي هذا المعنى في تلاوته، فلا ينتقل من سورة إلى تاليتها حتى يتمها .

ومن هنا تدرك خطأ بعض المقرئين الذين ينتقلون من سورة إلى سورة، غير مراعين ذلـــك . فبينما يتلو أحدهم سورة من السبع الطوال، أو المئين، ينقل فجأة إلى سورة من طـــوال المفصل، أو قصاره، ولا يدرك ما في انتقاله من إخلال بالمناسبة المقصودة، وفصم للارتباط المطلوب . وإنما يدركه العلماء المتخصصون في علوم القرآن، وتفهم أسراره، بل يشاهده عيانا أهل البصائر المنورة بنور المعرفة .

ذكر العارف الشعراني في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الفرغل من طبقاته: أن فقيها جلـــس عـــنده يقرأ القرآن، فنط الفقيه . فقال له الشيخ: نطيت . فقال: من أعلمك يا ســـيدي وأنت لا تحفظ القرآن؟فقال: كنت أرى نورا متصلا صاعدا إلى السماء، فانقطع النور و لم يتصل بما بعده .

وذكر لي سيدنا الأستاذ الإمام الوالد ﷺ: أن الوالي الكبير السيد الهاشمي بوزيد-من تلامـــيذ جدنـــا القطب الكبير سيدي الحاج أحمد-كان جالسا بمسجد بعد صلاة المغرب وجماعـــة يقرأون القرآن بصوت مرتفع، فانتقلوا من سورة إلى أخرى بسبب آية اشكلت عليهم . فصفق السيد الهاشمي بيده ينبههم إلى خطئهم، فتنبهوا ورجعوا .

فسأله أحد الحاضرين: كيف عرف خطأهم وهو لا يحفظ القرآن؟فقال: كنت أرى نـــورا صـــاعدا مع تلاوتهم، في استقامة واستواء، فلما انتقلوا حصل في النور اضطراب، ووصل بعد انقطاع، فعرفت خطأهم .

قلـــت: هذا من الكشف المؤيد بالدليل، فالقرآن نور حسي ومعنوي، ومن أسمائه: النور . وإذا قرىء في مكان، غشيته سكينة ونور .

وقريـــب من هذا: أني كنت ألقي دروسا حديثية، بأويش الحجر بجهة المنصورة . فذكـــر بعض الصالحين من المفتوح عليهم: أنه كان يرى النور يخرج من تلاوتى للحديث منذ البدء في ذكر إسناده إلى الانتهاء منه .

******

تمت بحمد الله

كتاب

جواهر البيان فى تناسب سور القرآن

للشيخ / عبد الله الصديق الغمارى الحسنى

إشراف

محمد بن على بن يوسف

الفهـــــــــرس